جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بالديدامون – شرقية

مقام الوسطية تأصيلا وتطبيقا؛ رؤية في العقيدة الإسلامية

إعداد

دكتور: خالد إبراهيم محمد إبراهيم

باحث بكلية الدراسات

الإسلامية والعربية بنين بالشرقية – جامعة الأزهر

المؤتمر العلمي الدولي الأول

١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م

مقام الوسطية تأصيلا وتطبيقا؛ رؤية في العقيدة الإسلامية

خالد إبراهيم محمد إبراهيم

قسم العقيدة والفلسفة -كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالديدامون -شرقية

مدينة: فاقوس. الدولة: جمهورية مصر العربية.

المخلص

تناول البحث نظرية الوسطية الإسلامية في رؤية العقيدة الإسلامية، وتوحيد رب البرية كانطلاقة لشريعة متكاملة مبنية على التيسير والسماحة في التكليف والتشريع والدعوة إلى الله، ونظرية الوسطية تظهر عندما نسبر ونستقرأ عقائده ومبادئه وأصوله العلمية والعملية ومفهوماته وأخلاقه وعباداته وشرائعه وأحكامه.

وكان من أهم ركائز البحث التعريف بالوسطية في اللغة والشرع، ثم الحديث عن آفاق ومظاهر تطبيق نظرية الوسطية في الإسلام، ومقام الوسطية في العقيدة الإسلامية، كوسطية أهل السنة في توحيد الباري سبحانه، وفي باب القضاء والقدر، والوعد والوعيد، وفي باب الأسماء التي تطلق على المسلمين والأحكام التي تطبق عليهم من حيث الإيمان والإسلام والكفر والفسق، وفي التعامل مع ولاة الأمر، وفي التلقي والبلاغ عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وفي التشريعات.

ثم جاء الحديث عن مقام الوسطية بين النظرية والتطبيق فتناول البحث: وسطية أهل السنة في الدعوة، ومعاملة ولاة الأمر كصمام أمان للمجتمع، والتعامل مع المسؤولية الفردية، والاجتماعية والإنسانية، وفي التواصل مع الثقافات، وفي الحقوق والواجبات البدنية والأسرية، وفي الجمع بين خيري الدنيا والآخرة.

وفي نهاية البحث توصل الباحث إلى نتائج من أهمها: أنَّ وسطية الإسلام كنظرية طُبِّقَت في عصر النبي -صلى الله عليه وسلم- والصحابة والتابعين ومن بعدهم تطبيقا صحيحا؛ فقامت على أكتافهم حضارة من أعظم الحضارات التي لم تندثر ولم تتته ثمراتها المباركة ولن تنتهي حتى تقوم الساعة، ولو قامت الأمة الآن بواجبها نحو نظرية الوسطية ومقامها الرفيع لعادت لها خيريتها التي كانت أبرز معالم الجيل الأول؛ فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، مع التفهم التام لصعوبات المرحلة، والتقدم التكنولوجي، والتحديات المختلفة، لكن الله خير حافظا وهو أرحم الراحمين.

الكلمات المفتاحية:

وسطية -عدالة -خيرية -توحيد الله -مسؤلية -تشريع.

The position of moderation, rooted and applied; A vision in the Islamic faith

Khaled Ibrahim Mohamed Ibrahim

Department: (Creed and Philosophy) Faculty of Islamic studies and Arabic male al–diadamon – sharqia

city: Faqus /AL–Azhar University country: Arab republic of Egypt

Abstract

The research dealt with the Islamic moderation theory, a vision in the Islamic faith, and the unification of the Lord of the Wilderness as a starting point for an integrated Sharia based on facilitation and tolerance in commissioning, legislation and calling to God.

One of the most important pillars of the research was the definition of moderation in language and Sharia, then talking about the horizons and manifestations of the application of the theory of moderation in Islam, the place of moderation in the Islamic faith, as the moderation of the Sunnis in the unification of God Almighty, and in the door of justice and destiny, promise and threat, and in the section of names that are given to Muslims and the rulings that apply to them in terms of faith, Islam, unbelief and immorality, in dealing with those in authority, in receiving and

communicating about God and His Messenger, may God bless him and grant him peace, and in legislation.

Then came the talk about the position of moderation between theory and practice, and the research dealt with: the moderation of Sunnis in advocacy, treating rulers as a safety valve for society, dealing with individual, social and human responsibility, in communication with cultures, in rights and physical and family duties, and in combining the good of this world and the hereafter.

At the end of the research, the researcher reached conclusions, the most important of which are: that the moderation of Islam as a theory was applied in the era of the Prophet, may God bless him and grant him peace, and the companions and followers, and after them, a correct application; One of the greatest civilizations that did not perish and its blessed fruits did not end

until the Hour was established on their shoulders. If the nation now fulfills its duty towards the theory of moderation and its lofty position, it will regain its goodness, which was the most prominent feature of the first generation. The last of this nation will not be reformed except by what the first of it was corrected with, with a full understanding of the difficulties of the stage,
technological progress, and various challenges, but God is the best preserver and He is the most merciful of the merciful

Key words:Moderation - Justice - Charity - Unity of God - Responsibility - Legislation.

المقدمة:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله.

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

لقد تميزت الأمة الإسلامية بسمة مميزة، تُعرف بها بين الأمم، وانفردت بخصيصة؛ هي "الوسطية" التي تعني اتخاذ المنهج الوسط بين الإفراط والتفريط، المبني على الصراط المستقيم الواضح بين طرق الضلال المختلفة؛ والتي تعمل على تحقيق التوازن القائم على التوسط بين طرفين متضادين، والتي تدفع أهلها للالتزام بروح الإسلام وهداه؛ فيقيمون العدل، وينشرون الخير، ويبذلون المعروف، ويحققون عبودية الله تعالى، ويعمرون الأرض، ويراعون حقوق الإنسانية بين بني البشر، ويعطون كل ذي حقٍّ حقَّه، فالوسطية هي الاعتدال في كل أمور الدين والدنيا.

وقد حث الإسلام على التوسط والاعتدال في كل أمور الحياة الدينية والدنيوية؛ فالإسلام وسط بين رعاية حقوق الفرد وحقوق المجتمع، ووسطية الإسلام تسعى إلى تحقيق التوازن في حياة الإنسان الروحيّة والمادية وفق فطرة الله التي فطر الناس عليها، وتحقيق التوازن؛ فيفهم طبيعة عالم الشهادة وعالم الغيب، والتعامل وفق هذا الفهم المتوازن؛ لأنَّ الإسلام دين يراعي متطلبات الروح والجسد معًا على السواء.

ومعنى الأمة الوسط: أنها أفضل الأمم، وخيرها، وأعدلها، وأكملها، وأبعدها عن الغلو، فالأمة الإسلامية هي أمة الخيرية التي حملت النور المبين بالقرآن الكريم في آخر رسالات الله تعالى إلى العالم أجمع، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾[الفتح: ٢٨]، فهي كقمة الجبل السامقة بين عباب السحاب بين سبل مختلفة ومنحدرة بسبب ضلالها، فالقمة المستقيمة ثبتت بسبب قوة أصلها بين تلك السبل.

وهي أمة الوسط التي تحمل أكمل منهج وأقومه في العقيدة والشريعة والأخلاق والآداب، والمكارم، وهي المكلفة بدعوة الأمم الأخرىٰ إلىٰ الصراط المستقيم؛ منهج الله الذي يضمن للإنسان الحق والخير والعدل والهداية والرحمة، ويحقق للمجتمع السعادة والطمأنينة والاستقرار؛ وذلك بالأساليب والطرق الحكيمة الرشيدة التي أمر الله تعالىٰ بها في قوله -عز وجل-: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥].

ومن أبرز ملامح الوسطية: الموازنة بين الثوابت والمتغيرات، والموازنة بين النصوص ومقاصدها، والتيسير في الفتوىٰ، والدعوة إلىٰ التسامح والتعايش مع الآخرين، ودعوة المسلمين بالحكمة، وحوار الآخرين بالحسنىٰ، والتعاون بين المسلمين في المتفق عليه، والتسامح في المختلف فيه، واتخاذ منهج التدرج الحكيم في الدعوة والتعليم والإفتاء والتغيير، والجمع بين العلم والإيمان، وبين الإبداع المادي والسمو الروحي، والتركيز علىٰ المبادئ والقيم الإنسانية والاجتماعية، كالعدل والشورىٰ والحرية وحقوق الإنسان، والحرص علىٰ البناء لا الهدم، وعلىٰ الجمع لا التفريق، وعلىٰ التقارب لا التباعد، والبعد عن الغلو الذي هو مجاوزة الحد في الاعتقاد والقول والفعل، فقد نهىٰ الإسلام عن التشدد والغلو في الدين؛ لما في ذلك من مشقة علىٰ النفس وإضرار بها، وتضييق علىٰ الناس في معايشهم وتصرفاتهم، وخروج عن سنة الرسول صلىٰ الله عليه وسلم الذي قال: «يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا، وَلاَ تُنَفِّرُوا» (١)، وقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ» (٢)، فالإسلام دين وسط واسع الأفق قابل لكل تجديد في سبيل الرقي والتقدم والبناء ويرفض الجمود والتعصب والتشدد والتطرف والعنف والهدم(٣).

ولهذا صارت طريقتها العدل الأوسط الذي تجتمع عنده الفضيلة.

---

(١) صحيح البخاري، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَوَّلُهُمْ بِالْمَوْعِظَةِ وَالعِلْمِ كَيْ لاَ يَنْفِرُوا ح (٦٩) (١/ ٢٥). وصحيح مسلم كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير رقم٨ - (١٧٣٤) (٣/ ١٣٥٩).

(٢) سنن ابن ماجه، كِتَابُ الْمَنَاسِكِ، بَابُ قَدْرِ، حَصَىٰ الرَّمْيِ ح (٣٠٢٩) (٢/ ١٠٠٨).

(٣) مرصد الأزهر، الإسلام دين الوسطية، https://www.azhar.eg اطلع عليه بتاريخ ٥/ ٨/ ٢٠٢١م.

التمهيد:

كمال الوسطية أو وسطية الكمال وضع الله -سبحانه وتعالى- لها منهجا ربانيا شاملا وسعى رسول الله -صلى الله عليه وسلم في حياته وسيرته إلى التطبيق الكامل لهذه الوسطية، فهذه الوسطية خصيصة الأمة الإسلامية بمفهومها الإسلامي المتمثل في لغة القرآن ومعانيه ومواقفه، كما أورده القرآن الكريم وطبقه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، فهي تختلف تمام الاختلاف عن مفهوم الوسطية عند غير المسلمين.

فالوسطية الإسلامية لا تهدف إلى الجمع بين المتضادين أو المتعارضين أو التوسط بين النقيضين أو إرضاء الطرفين واتخاذ موقف محايد، وإنما الهدف من الوسطية الإسلامية هو الوصول إلى الحق.

فلذلك وسطية الإسلام ليست خصيصة مميزة فحسب، بل هي من أعظم حقوق الأمة الإسلامية التي سماها الله " أمة وسطا"، والتي يجب الدفاع عنها كلما حدث في المجتمع الإسلامي أي انحراف عنها فكريا أو سلوكيا، وكما يجب على الأمة الوسط الدفاع عن وسطيتها في العقيدة والأخلاق والتشريع والسلوك ضد كل غلو أو تطرف.

ويجب التحذير من الإفراط والتفريط والتسرع في تبديع أو تفسيق أو تكفير المسلمين، ولا سيَّما الدعاة؛ لمجرد خطأ وقعوا فيه، وكذلك التحذير من أهل الغلو في الجرح في زماننا الذين لم يسلم من لسانهم أحد من الصالحين.

ومن هنا أحس العالم الإسلامي بحاجة ملحة إلى أهمية دعوة السلام والوسطية وضرورتها التي يدعو الإسلام إلى تحقيقها ونشرها بين الناس بالطريق الصحيح، واتضحت جليا واقعية الوسطية الإسلامية لمواجهة مجريات الأحداث مما جعل الوسطية الإسلامية من الأساليب الضرورية لحماية الهوية الإسلامية ومواجهة تحديات العصر في الوقت نفسه، لأنها بديل في حل المشكلات العويصة، وسطية تشمل الشريعة والمجتمع والسياسة والاقتصاد والثقافة والتربية.

وسطية تدعو إلى الالتزام بالمبادئ لا تفريط ولا إفراط.

وسطية تدعو إلى نبذ التطرف بكل أشكاله والتمسك بالقيم الأخلاقية والجمالية.

وسطية تدعو إلى الوحدة والائتلاف وتكوين أمة وسط بغض النظر عن اختلاف الألوان والألسنة وبعد المسافات بهدف سامٍ موحد مشترك.

وسطية تقوم على توحيد الله -سبحانه وتعالى- في أسمائه وصفاته، والبعد عن أي انحراف أو غلو أو التطرف.

وسطية تقوم على المنهج الإلهي، والجمع بين المادة والروح، والقضاء والقدر، والدنيا والآخرة، والإنسانية والعلوم، والفرد والجماعة، والأسرة والمجتمع، والحقوق والمسؤولية، والتوازن فيما بينها بلا إفراط ولا تفريط، ولا ترجيح جانب من الجوانب دون الآخر، وأمَّا العزلة والانفراد أو الانهماك في ملذات الدنيا واتباع الهوى فكل ذلك من التطرف.

وسطية تدعو إلى التيسير في أمور الدين، وإلى التسامح والرفق، وتحارب التطرف والتشدد بجميع صوره، وترى الجهل بمبادئ الإسلام وتأويل النصوص بالهوى والاستبداد بالرأي والابتداع والعصبية وسوء الظن بالآخرين والحسد والحقد كلها خروجا وانحرافا عن وسطية الإسلام، وذاك هو التطرف بعينه.

وسطية تنبه الناس أنها ليست تحارب التطرف الديني فحسب، بل تحارب أيضا التطرف في الأفكار والأمور الأخرى؛ لأنَّ مثل هذا النوع من التطرف قد أحدث كثيراً من المشكلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية في العالم الإسلامي، فعلى سبيل المثال: التغريب هو النوع المثالي من أشكال التطرف، فكثير من الغربيين أو من دعاة التغريب يعدون مقاومة الثقافات الخليعة وأساليب الحياة الساقطة في العالم الإسلامي انتهاكا بحقوق الإنسان وتدخلا في حرية الآخرين، وهذه مؤامرة وكيد على الإسلام، وفي الحقيقة هؤلاء هم المتطرفون أنفسهم، وفعلهم هذا هو التطرف عينه.

وسطية تحارب الإرهاب بكل صوره وأشكاله والهيمنة وسياسة القوة، وتؤكد الوسطية بأنَّ أول ما يقدمه الإسلام للبشرية هو الأمن والسلام، فأي حركة تمارس الإرهاب أو تناصره باسم الإسلام تخالف رسالة الإسلام من حيث المبدأ والأساس، فكل ما يؤذي أو يهدد أمن الناس وأموالهم وحرية عقيدتهم وكرامتهم، سواء صدر ذلك من الفرد أو المنظمة أو الدولة كلها من التطرف

والإرهاب، وأنَّ الوسطية الإسلامية تحارب الإرهاب والتطرف بأشكاله وصوره، وتحارب ما تمارسه السلطة الصهيونية تجاه الشعب الفلسطيني من أعمال العنف والإرهاب، وتدعو الوسطية الإسلامية إلى إزاحة الإرهاب من مظاهره وأسبابه وجذوره من مصدره.

وسطية تدعو إلى إصلاح المجتمع والتكافل والتضامن الإجتماعي والعدالة الاجتماعية واختيار طريق يتفق وواقعية الدول الإسلامية، لا رأسمالية ولا اشتراكية بل طريقة إسلامية تؤكد ملكية الفرد ومصالح المجتمع، وسطية وتوازنية بين الإنتاج والاستهلاك، وتنمية الموارد وحماية البيئة، والتطور المستمر، وتنادي بحكم البلاد وإدارة شؤون المجتمع على أساس الشورى، وتحارب الاستبداد والفساد والاستغلال والظلم.

وسطية تدعو إلى الوحدة ونبذ الخلافات وإجراء حوار الحضارات وتقوية التبادل، وتبين أنَّ النزاعات الداخلية قد أضعفت بكثير قوة الأمة الإسلامية وعرقلت تطورها وتقدمها، وأنَّ تقوية الوحدة وتعزيز العلاقة أصبحت حاجة ماسة وواجبة للأمم، وليس في استطاعة الأمة أن تجابه تحديات العصر والعولمة إلّا بالاتحاد والتعاون، فالوسطية الإسلامية تهدف إلى تنمية الوحدة والتعاون بين شعوب العالم الإسلامي انطلاقا من مبدأ " إنما المؤمنون إخوة "، لإجراء الحوارات فيما بينهم لتقوية التعاون وتعزيز العلاقة بينها.

وسطية تدعو إلى إجراء الحوارات بين مختلف الحضارات لتقريب التفاهم والتعارف، وتؤكد أهمية احترام الآخر، والإشادة بحوار الحضارات من خصائص الحضارة الإسلامية التاريخية، يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [سورة الحجرات:١٣] ويدعو القرآن الكريم إلي إجراء الحوار مع أهل الكتاب، يقول تعالى: ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ٦٤]، ويقول تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة العنكبوت: ٤٦]، ويقول تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [سورة النحل: ١٢٥].

وسطية تسعى إلى إيجاد جو مناسب لحوار الحضارات انطلاقا من مبدأ "الناس سواسية" وتحقيق الأمن والاستقرار بين شعوب ودول متعددة الأديان والتبادل الودي بينها، وهذا هو المبدأ الأساس للتطور البشري والسلام العالمي الدائم، وأنَّ ما ادعاه صموئيل هنتجتون من صدام الحضارات وفرض الدول المركزية صورا من أنماط الحياة والممارسات والعقائد والإرادات وشروطها السياسية والاقتصادية والثقافية على دول الهامش كل ذلك من أعمال الإرهاب والإفساد في الأرض والجاهلية وتعطيل الأمن والسلام العالميين.

أهمية الموضوع:

لم تكن الوسطية في حياة هذه الأمة المحمدية الخاتمة مجرد مُثُل عليا، أو وصايا تفخر بها، دون ممارسة أو تطبيق؛ ولكنَّها كانت واقعًا عاشته هذه الأمة ومارسته، وطبقته في واقع حياتها على مر تاريخها الطويل، على تفاوت في ذلك التطبيق يبين زمان وزمان، ومكان ومكان، وحسب اشتعال جذوة الإيمان في قلوب العاملين بها وخبوئها؛ غير أنَّه ممَّا يقطع به أنَّه لم يخل زمان ممَّن يقيم الحق والعدل والوسطية، ويقوم بها ويحكم بمقتضاها من هذه الأمة.

فالوسطية الإسلامية تدعو إلى معاني العدل، والاعتدال، والاستقامة، والتوازن، واحترام الآخر، كما تدعو إلى نبذ صور العنف، والقسوة، والغضب، والانتقام، والإرهاب.

فهي وسطية في التصور والاعتقاد، وسطية في التنظيم والتنسيق، لا تدع الحياة كلها للمشاعر والضمائر، ولا تدعها كذلك للتشريع والتأديب.

وسطية في العقيدة، قال تعالى: ﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [سورة النساء: ١٧١].

وسطية في الأخلاق والسلوك، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [سورة الفرقان: ٦٧].

وسطية في التشريع، قال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [سورة النحل:١٢٦].

وسطية في العبادات، وكانت قصة نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة من أصحابه عن الغلو في العبادة مشهورة، ظنا منهم أنَّ أفضلية العبادة وعظم ثوابها لا تحصل إلا بالمشقة البالغة وحرمان أنفسهم من طيبات الدنيا، وقد صحح النبي -صلى الله عليه وسلم- فهمهم الخاطئ وأرشدهم منهج وسطية العبادة في الإسلام.

وهذه الوسطية تدعو كل ذي لب أن يقوم بواجبه ما استطاع لنشرها والتعامل بها والدعوة لتطبيقها!

من أهم أسباب اختيار الموضوع:

كان من أهم أسباب اختيار الموضوع ما يأتي:

١- بيان البون الشاسع بين العقل الراجح المنير بالعلم الغزير، والعقل الطائش المظلم بالجهل الفاضح، وبين الوسطية والاعتدال في الأمور، والتطرف والتنطع الذي يتصف به المتطرفون كل زمان، فظلموا أنفسهم وجنوا على عقيدتهم وأهليهم وما وُلُّوا.

٢- العمل على تكوين شخصية إسلامية متزنة تقتدي بالمنهج النبوي في شمول فهمهم، واعتدال منهجهم، وسلامة سلوكهم بين الإفراط والتفريط، والتحذير من الشطط في جوانب الدين، والتأكيد على النظرة المعتدلة المنصفة، والموقف المتزن من المؤسسات والأشخاص والاتجاهات الفكرية.

٣- التأكيد على أنَّ الوسطية تميز المسلم عن غيره في منهج حياته، فيقف صامدا ثابتا أمام تحديات العصر، وتيارات مجريات الأحداث من الشبهات والشهوات، ولا يكون حائرا مترددا على مفترق الطرق، فلا تذوب هويته في أمواج الأفكار المتعارضة، متساهلا مفرِّطا، أو متطرِّفا مكفِّرا مستخدما العنف.

٤- بيان أنَّ سمو الإسلام الوسطي؛ لأنَّه يشمل الحياة كلها، ويهتم اهتماما متساوياً بالدنيا والدين، والنفس والجسد، والفرد والمجتمع؛ فلا يحملنا على طلب المحال، بل نستفيد بما منحنا الله من استعدادات.

٥- عصر العولمة، ورمي الأمة الإسلامية تارة بالتطرف وتارة بالإرهاب، وتارة بالرجعية، بسبب ظهور الجماعات الإرهابية المتطرفة الهادفة إلى تشويه صورة الدين الحنيف السمح، وأحيانا بسبب سوء فهم بعض المتدينين لنصوص الإسلام بسبب تعلمهم الدين من غير مؤسساته التعليمية الأصيلة صاحبة المنهج الوسطي المبني على التأصيل النقلي والعقلي.

أهداف البحث:

من أهم أهداف البحث ما يأتي:

١- اثبات أنَّ العقيدة الإسلامية طريق النجاة؛ التي يمكن وصفها بسفينة نوح؛ التي أُسست بأمر الله تعالى، على يد نبي كريم، بالوحي المنزل مع الروح الأمين، وثبتت بين الأمواج المتلاطمة على مر السنين، حتى نجا بها النبي ومن معه من المؤمنين، فلا نكون كابن نوح حين دعاه أبوه للركوب فأبى أن يكون من الراكبين فحال بينهما الموج فكان من المغرقين؛ نسأل الله الهداية والسداد!

٢- التأكيد على أنَّ الوسطية تعتبر صفة لازمة لمن ينتهجون المنهج الوسطي المعتدل؛ ليس في العقيدة فحسب؛ بل في العلم والعمل، والعقل والنقل، فيجمعون بين ثبات التشريع ومرونة التطبيق.

٣- نقصد بأهل السنة والجماعة في البحث: الأشاعرة والماتريدية ومن وافقهم في جل عقيدتهم، فعقيدتهم مظهر من مظاهر (الوسطية)، أو (التوفيقية) التي يتبنَّاها الأشاعرة والماتريدية ويدعون إليها.

٤- التأكيد على أنَّ الإسلام شامل لجميع الجوانب؛ كالاعتقاد والمجتمع والدولة ومختلف نظم الاقتصاد والسياسة والاخلاق، فالإسلام نظرية كليَّة شاملة شملت العقيدة والتشريع والعبادة والخلق.

٥- تصحيح مفهوم الوسطيَّة الذي ضلَّ فيه كثيرون، بين التَّنازل والتَّساهل، والتحمُّس والاندفاع.

فالنتيجة التي نسعى إليها من بحثنا: أنَّ هذا المنهج بحاجة إلى تفصيل وبيان، لا لخفائه في ذاته -بل هو أوضح من الشمس في رابعة النهار- بل لخفاء بعض الأمور النسبيَّة التي تعود إلى بُعد كثير من الناس عن منهج القرآن والسنة، وضعف حصيلتهم العلميَّة، وممارستهم التعبديَّة والدعويَّة.

والهدف من هذا البحث إيضاح مفهوم الوسطيَّة، وتحديد مدلولها في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، تعريفًا وتأصيلا، وتحديدًا، وتطبيقًا، على قدر الاستطاعة.

وهذا هو المعنى الشّامل الذي نفهمه من قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: من الآية ١٤٣]؛ فمن منطوق هذه الآية انْطَلَقْت، وفي ضوئها سرتُ وكتبتُ، ومن مفهومها حقَّقتُ وبيَّنتُ.

فاللهم وفق وأعن، وسدد اللسان والقلم، وبارك في مَنَّ سطر وقرأ؛ اللهم آمين!

منهج البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يكون المنهج المتبع هو المنهج الاستقرائي، بالبحث عن معاني الوسطية في القرآن والسنة وكلام أهل العلم المشهود لهم بالاعتدال، مع تحليل لما يسطر من الأفكار والأقوال؛ ومن المنهج:

١- عزو الآيات إلى مواضعها في السور برقمها.

٢- تخريج الأحاديث من مصادرها برقم الحديث، فإن كانت في الصحيحين اكتفيت بالتخريج منهما، أو من أحدهما، وإن كان من غيرهما بينت درجة الحديث غالبا.

المبحث الأول:

التعريف بالوسطية

ويتكون من أربعة مطالب:

المطلب الأول: الوسطية في اللغة:

الوسطية في اللغة: مادة "وسط" تدل على معان متقاربة، فالواو والسين والطاء بناء صحيح يدل على: العدل، والنصف، وأعدل الشيء أوسطه ووسطه[1]، فـ "كلمة "وسط" تضبط على وجهين: الأول: "وسْط"؛ بسكون السين؛ فتكون ظرفًا بمعنى "بين"، تقول: جلست وسط القوم، أي بينهم[2]، والثاني: "وسَط"؛ بفتح السين: وتأتي: لمعان متعددة متقاربة، فتكون: اسمًا: لما بين طرفي الشيء وهو منه؛ وهذا حقيقة معناه[3]، وصفة بمعنى "خيار، وأفضل، وأجود"، وواسطة القلادة: الجوهر الذي وسطها وهو أجودها، ورجل وسط ووسيط: حسن[4]، وبمعنى: "عدل" فأعدل الشيء أوسطه[5]، وبمعنى: الشيء بين الجيد والردئ.[6]

---

(١) أبو الحسين أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، "بتحقيق عبد السلام محمد هارون، نشر: دار الكتب العلمية - إيران"، ٦/ ١٠٨. مادة: وسط.

(٢) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، "نشر: دار صادر - بيروت"، ٧/ ٤٢٨. مادة: وسط.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ٧/ ٤٢٧- ٤٢٨. مادة: وسط.

(٤) إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، "تحقيق أحمد بن عبد الغفور عطار، ط. الثالثة، ١٤٠٢ هـ"، ٣/ ١١٦٧. لسان العرب ٧/ ٤٢٧، ٤٣٠. مادة: وسط.

(٥) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، "نشر: دار الجيل- بيروت"، ٢/ ٤٠٥. ابن منظور، لسان العرب ٧/ ٤٣٠. الجوهري، الصحاح، ٣/ ١١٦٧. مادة: وسط.

(٦) أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير، "نشر: مكتبة لبنان -بيروت"، ص ٢٥٢. الصحاح ٣/ ١١٦٧، وانظر أيضًا: القاموس ٢/ ٤٠٦، واللسان ٧/ ٤٣٠. مادة: وسط.

وبالتالي؛ فلا تخرج اللفظة عن: العدل، والفضل، والخيرية، والنصف، والبينية، والتوسط بين الطرفين، والمتوسط بين الغالي والتالي، والحسب، والشرف، والرفعة [1]، فيُوصف الإنسان الوسط بالفضائل الشريفة، ويُنعت بالخيِّر الفاضل؛ ومن شأن هذا أن يكون عدلاً في قضائه وشهادته، وهو الأقرب إلى الاعتدال والقصد، والأبعد عن الغلوّ في الجودة والرداءة ونحوهما [2].

والوسط حسيًّا: في الأصل هو اسم للمكان الذي يستوي إليه المساحة من الجوانب في المدوَّر، ومن الطرفين في المطوَّل، كمركز الدائرة، ولسان الميزان من العمود، ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفَيْ إفراط وتفريط: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة، الآية ١٤٣]؛ يعني متباعدين عن طرفي الإفراط في كل الأمور والتفريط، ثم أطلق على المتصف بها مستوياً فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث. [3]

ونستخلص من هذا الشرح معنىً دقيقاً، يجب أن يَعِيَه دعاة الوسطية، في كل المجالات: وهو العلاقة التجاذبية بين الوسط وطرفيه؛ فالوسط شيء عزيز، يحتاج إلى جهد، وفقه، وعلم، وصبر، حتى ينتزع من طرفيه، ويسل من متشابهاته، وفي ذلك من المعاناة والجلد والاصطبار ما يرتقي بصاحبه إلى ما يمكن أن نسميه بـ "مقام الوسطية".

---

(١) ابن منظور، اللسان ٧/ ٤٢٩. الصحاح ٣/ ١١٦٧.

(٢) معجم ألفاظ القرآن الكريم، الجزء ٦، ص: ٢٤٨، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، نشر الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة ١٩٩٦م.

(٣) كتاب الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء الكفَوي (ت: ١٠٩٤ هـ) ، تحقيق د. عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٢م.

المطلب الثاني: الوسطية في الشرع:

من إعجاز القرآن الكريم المبهر إذا تأملنا هذه الآية الكريمة: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾ نجدها تقع في وسط سورة البقرة تماما ورقمها "١٤٣" وعدد آيات سورة البقرة "٢٨٦" فنجد أنَّ الآية الكريمة تقع في منتصف السورة ووسطها بالضبط، أي أنَّ آية الوسطية جاءت على نفس منهج الوسطية تماما وسبحان الله العظيم؛ وهذا من الإعجاز الترتيبي لآيات القرآن الكريم.

وردت مادة وسط في القرآن الكريم والسنة المطهرة في أكثر من آية وحديث، تدور معانيها حول المعاني اللغوية لهذه المادة، فاستعملها الشارع بمعنى:

العدالة والخيرية والتوسط بين الإفراط والتفريط، ومن ذلك: قوله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾: أي عدلًا، كما فسرها النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: "والوسط: العدل"[1]، والوسط هاهنا: الخيار والأجود[2]، وفي ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ قولان: أولهما: عدلًا، وقال بعضهم: أخيارًا، واللفظان مختلفان والمعنى واحد؛ لأنَّ العدل خير، والخير عدل"[3]، والأمة الوسط: المتوسطة بين الإفراط والتفريط[4]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ﴾ [سورة القلم آية ٢٨]، قال ابن عباس وغيره: أي: أعدلهم وخيرهم[5].

---

(١) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، ٨/ ١٧٢، ح ٤٤٨٧، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٥٤) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٣) أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، "شرح وتحقيق د. عبد الجليل عبده شلبي، ط. الأولى ١٤٠٨ هـ نشر: عالم الكتب - بيروت"، ٢/ ٢١٩.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، "تحقيق وتعليق محمد محمود شاكر، دار المعارف بمصر"، ٣/ ١٤٢.

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٨/ ٢٢٣.

فالأمة المحمدية: عدول خيار، فلا إفراط ولا تفريط، ولا غلو، ولا جفاء، ولا تقصير، ولا تجاوز، اعتدال، واستقامة، فالوسطية تحقق الاستقامة، والاستقامة هي: لزوم الصراط المستقيم، فلا انحراف هنا، ولا هناك.

ومنهجها وسط بين الجيد والرديء، أو الأرفع والأدنى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ [سورة المائدة آية ٨٩]، قال ابن عباس: كان الرجل يقوت أهله قوتًا دونًا، وبعضهم قوتًا فيه سعة، فقال الله: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ الخبز والزيت، وفسر بعضهم: "أوسط" في الآية بأنه: الأعدل والأمثل، فتكون الآية على هذا التفسير مندرجة تحت معنى: "العدالة والخيار والأجود"[1].

والأمة الوسط لها الوسطية الحسية، وهي: ما بين الطرفين وما بين طرفي الشيء وحافتيه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى﴾ [سورة البقرة آية ٢٣٨][2]، فكما أنَّ الصلاة الوسطى بين الصلوات الخمس كدرة في وسط التاج؛ كانت الأمة الوسط هي درة العالم فهي شرقها الأوسط، وأم قراها ومبعث أنوارها.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ [سورة العاديات آية ٥]؛ أي: دخلن به وسط العدو، وسط جمع العدو [3]، وتوسطن بذلك الوقت، متلبسات بالنفع[4].

فالأمة الوسط التي تدين بالدين الوسط هي ذات رسالة وسطية، تحمل مبادئ الإيمان والحرية والمساواة والتكافل والتضامن بين جميع البشر، وتنشر قيم الخير والفضيلة، وتدعو الناس كافة إلى

---

(١) ابن جرير، جامع البيان، ١٠/ ٥٤٣.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١/ ٢٩١- ٢٩٥.

(٣) انظر: "البغوي" أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء، معالم التنزيل، "تحقيق خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار، ط. دار المعرفة- بيروت"، ٤/ ٥١٨. الرازي، التفسير الكبير، "ط. الثالثة، نشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت"، ٣٢/ ٦٦.

(٤) محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، "ط. الثانية ١٣٨٣، الحلبي"، ٥ / ٤٨٣.

سواء السبيل، وتسلك بهم الطرق المستقيمة التي توصلهم إلى الأمن والأمان، والسلام والاطمئنان، وإلى سكينة القلب وراحة الوجدان.

والأمة الوسط شاهدة على الناس الشهادة التي تؤكد التكليفَ الإلهيَّ، يقول المولى تعالى في تتمة الآية الثالثة والأربعين بعد المائة من سورة البقرة، موجّهاً الخطاب القرآني إلى المؤمنين: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة، الآية ١٤٣]؛ والشهادة بالحق هي أعلى الدرجات في سلم المسؤولية التي تتحمّلها الأمة الإسلامية وتنهض بأعبائها وتقوم بواجباتها.

فجاءت الوسطية في السنة بمعنى الأوسط والأعلى، كما وصف النبي -صلى الله عليه وسلم- الفردوس بأنه أوسط الجنة وأعلى الجنة في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ - أُرَاهُ - فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ». (١)

فالوسطية: الاعتدال والتوازن بين أمرين أو طرفين بين إفراط وتفريط أو غلو وتقصير، فهذه الوسطية إذن هي العدل والطريق الأوسط الذي تجتمع عنده الفضيلة (٢).

وهكذا رأينا أنَّ الوسطية صفة تحمل في طياتها التوازن والاعتدال والسمو والرفعة، وهذه الصفة الكريمة تقع بين صفتين ذميمتين هما: الغلو والتقصير، أو الإفراط والتفريط.

المطلب الثالث: نظرية الوسطية في العقيدة الإسلامية:

يمكن جمع قواعد نظرية الوسطية في العقيدة الإسلامية في عشر قواعد هي:

١- الوضوح والخلو من الغموض والطلاسم والتعقيد، فالإيمان بالله تعالى وبوجوده مركوز في الفطرة.

---

(١) صحيح البخاري (٤/ ١٦)، كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، رقم الحديث: ٢٧٩٠.

(٢) وسطية أهل السنة والجماعة في باب القدر لعبد الله بن سليمان الغفيلي ص ١٧٤ ـ ١٧٥، مجلة البحوث الإسلامية، العدد ٧٦. ١٤٢٦هـ.

٢- الوسطية تعني الطريق المستقيم، فالمسلمون يبتهلون إلى الله كل يوم خمس مرات قائلين: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦-٧]، هي دعوة أن يهديهم الصراط المستقيم، الذي هو وسط بين طريقين، وهي دعوة أن يثبتهم على ذلك.

٣- وسطية التشريع بين الإفراط والتفريط، وهذا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يشرع متوسطا بين المترخص والغالي فيقول: «أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[1]، ولقد استنبط العلماء من هذا الحديث وأمثاله القواعد الفقهية والأصولية من تشريعات الإسلام مثل قولهم: الضرورات تبيح المحظورات، والضرورة تقدر بقدرها، وغيرها كثير كلها تنبع بعظمة هذا الدين وأنَّه دين الوسطية والاعتدال.

٤- وسطية في الأخلاق: وهو الجانب السلوكي التطبيقي في المعاملات بين الناس، وسطية واعتدال في البذل والإنفاق، وفي القضاء والاقتضاء، وفي البيوع والشراء، وفي سائر الأمور، لهذا كانت الأمة خير الأمم.

٥- وسطية في دعوتها: منهج قائم على الاعتدال؛ أساسه الحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، واللين والرفق في غير ضعف؛ للإقناع وإقامة الحجة، دون إكراه ولا قهر، فمن آمن فله ما لنا وعليه ما علينا، ومن اختار دينه فلا حرج، فيكف عنه المسلمون أيديهم وألسنتهم إلا بخير؛ قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

---

(١) متفق عليه: صحيح البخاري (٧/ ٢)، كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ التَّرْغِيبِ فِي النِّكَاحِ، ح (٥٠٦٣)، وصحيح مسلم (٢/ ١٠٢٠)، كتاب النكاح باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، رقم ٥ - (١٤٠١).

٦- اختار اللهُ الأمة الإسلامية لتكون شاهدة على العالمين؛ لأنها أمة الوسط، لا تميل إلى التفريط ولا إلى الإفراط، ولأنَّ خيرية الأمة من وسطيتها؛ يقول تعالى في كتابه العزيز: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران، الآية ١١٠]، فالخيرية في هذا السياق هي الوسطية التي هي أهم أسباب الخيرية.

٧- خصّ الله هذه الأمة بأكمل الشرائع، وأقوم المناهج، وأوضح المذاهب (١)، كما قال تعالى: ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الحج، الآية ٧٨]، فهي الأمة الوسط التي تشهد على الناس، فتقيم بينهم العدل والقسط، وتضع لهم الموازين والقيم، فتبدي فيهم رأيها، فيكون هو الرأي المعتمد؛ لأنَّ الرسول هو الذي يشهد عليها، فيقرر لها موازينها وقيمها، ويحكم على أعمالها وتقاليدها، ويزن ما يصدر عنها، ويقول فيها الكلمة الأخيرة.

٨- نهَجَ عدول هذه الأمة منهجا وسطا بلا إفراط، ولا تفريط، في شأن الدين والدنيا، وبلا غلو في دينهم، ولا تقصير منهم في واجباتهم، فهم ليسوا بالماديين، ولا بالروحانيين، وإنما جمعوا حق الجسد وحق الروح، تمشياً مع الفطرة الإنسانية القائمة على أنَّ الإنسان جسد وروح (٢).

٩- تحقق شروط الوسطية التي تتعلق بأحوال الناس ومعاشهم وحياتهم العامة، واتصاف دعاة الوسطية بها على مر العصور: الصدق، والنزاهة، والاستقامة، إلى المعرفة، والإحاطة بالظروف والحيثيات والمعطيات كافة، فالعلم المبني على العقل والنقل من مقوّمات الوسطية، وهذه الشرط لا تتوفر كاملة مستوفية الأركان، إلا عند المؤمن حقًّا بالدين الوسط، المنتمي فعلاً إلى الأمة الوسط.

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني، المجلد ١، ص: ١٣٦، دار القرآن الكريم، بيروت، ١٩٨١م.

(٢) التفسير المنير، د. وهبة الزحيلي، المجلد الأول، الجزء ٢، ص: ١٠ - ٩، دار الفكر المعاصر بيروت، دار الفكر دمشق، الطبعة الأولى ١٩٩١م.

١٠- بالربط بين (وسطية الإسلام)، وبين (خيرية الأمة الإسلامية)، نصل إلى إدراك المفهوم العميق لهذا المبدأ السامي من مبادئ الإسلام، وهو مبدأ لم تكن تعرفه الأديان السماوية السابقة على الإسلام، وذلك مما يتطابق تطابقاً تامًّا مع الدين الخاتم والرسالة الخاتمة.

المطلب الرابع: آفاق ومظاهر تطبيق نظرية الوسطية في الإسلام:

للوسطية آفاق عديدة تجعل الحياة البشرية مزدانة بأوصاف الحق والخير والاعتدال، أو الاتزان في معالجة مشكلات الحياة، ومن مظاهر الوسطية أو آفاقها ما يأتي:

١- تناغمها مع الفطرة الإنسانية: فوسطية الشريعة الإسلامية في أحكامها الاعتقادية، والمنهجية، والعملية، والخلقية، وممارسة العبادات؛ تلائم طبيعة الإنسان، وإمكاناته المزدوجة، الجامعة بين حق الجسم وحق النفس أو الروح، ويحفظ التوازن دون إلحاق جور أو ضرر أو كبت أو إرهاق لجانب على جانب آخر، حتى وصف الإسلام بأنَّه " دين الفطرة " كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

٢- الإدراك الكامل للنزعات النفسية والميول البشرية والتعامل معها بوسطية: فلا ينكر إنسان وجود الواقع النفسي والميول والعواطف والغرائز التي خلقها الله في البشر، وهذا يحتاج إلى الإشباع بالطرق السوية، دون الوقوع في الجوع والنهم أو التحرق والمعاناة، فمن تمتع باللذات المشروعة أو المباحة كان هادئ النفس مرتاح الضمير، ومن كابد الصراعات النفسية ولم يستجب لنداء الذات، كان قلقًا ومعذّبًا، ومن أسرف في اللذات والمشاعر وقع فريسة المرض والاضطراب والقلق؛ لذا أباح الإسلام الزينة والتمتع بالطيبات، وحرَّم الفواحش، ورغّب في الزواج، فقال الله تعالى: ﴿يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأعراف: ٣١

- ٣٣]، وقال سبحانه: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ [النور: ٣٢] وهو ترغيب شديد في الزواج والتزويج لكل من لا زوج له، لما فيه من الخير والعفة، وبقاء النوع الإنساني بإنجاب الذرية.

٣- وقد نهى الإسلام عن الترهُّب فلا رهبانية في الإسلام، ونَدَّد برهبانية بعض النصارى، فقال الله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٧] .

٤- الترغيب بين العمل للدنيا والعمل للآخرة لتتحقق المصلحتان، وتتوافر المنفعتان، ولإكمال رسالة الدنيا وجعلها جسراً للآخرة؛ لأنَّ متطلبات الحياة الدنيوية كثيرة، وتعمير الدنيا وتقدمها وتحضرها من مقاصد الخلق الإلهي، وذلك مثل الاستعداد بالإيمان والعمل الصالح للآخرة دار الخلود، قال الله تعالى في قصة قارون: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧].

٥- ضرورات بناء الإيمان الصحيح على العمل المثمر، وجعل قاعدة قبول الأعمال الصالحة إرادة الخير للناس؛ فيتآزر الجميع لتحقيق بناء شخصية المؤمن، وتكامل الذات، ونقل هذه التعاليم للمجتمع المسلم، والتوصل إلى الغايات السامية والنفعية، في عالم الدنيا والآخرة؛ مما يزرع في النفس إجلال الذات الإلهية ووجوب إرضاء الله وطاعته، والخوف من مخالفة أوامره ونواهيه، وكذا محبته وشكره وعبادته، وتعمل بقية عناصر الإيمان على تزويد الإنسان بطاقات اليقين والهيبة ودفعه إلى العمل الصالح في الدين والدنيا والآخرة، فمن يُحْرَم أصول الإيمان هذه يتعرض لكثير من الهزات والأزمات، فيعمل دون هدف نبيل، فيحرم الوصول للغاية الشريفة فيدري فهم حقائق البدء والمسيرة والانتهاء، وندرك أيضاً سر العمل وجدواه في الدنيا التي هي دار امتحان واختبار، ثم نهاية العمر أو الموت، وتحمل مسؤولية التكاليف الإلهية، والحساب عليها في الآخرة، وفي ذلك خير للفرد والجماعة، وكل ذلك مرتبط بحكمة إلهية عميقة ودقيقة، وإلا كان الوجود في الدنيا نقمة

أو عبثاً أو ضياعاً، والله تعالىٰ منزّه عن العبث، وعن الوجود الإنساني من غير هدف، وهذا ما قرره القرآن الكريم في آية: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

٦- عقيدة الإيمان في شريعة الإسلام بسيطة غير معقدة، وسهلة الفهم، وتتقبلها العقول بسرعة، وتريح النفس، وتحقق لها الطمأنينة وتجنّبها القلق والاضطراب، وتعينها علىٰ تجاوز مشكلات الحياة وتقلّباتها، بما فيها من خير وشر، وعزّ وذل، وغنىٰ وفقر، وصحة ومرض، وقوة وضعف، ومتعة أو لذة وحرمان، وسلام أو أمان وحرب وخوف، وغير ذلك من ظواهر الحياة الاجتماعية والإنسانية؛ فيكون الإيمان بحسب أصول الإسلام طريق إسعاد وإنقاذ ونجاة وفلاح وعمران وبناء، وسمعة عالية وأثر عميق في التاريخ، وكل ذلك بفضل بساطة العقيدة الإسلامية ووسطية مفاهيمها ومداركها وغاياتها.

٧- تقرير حرية الإنسان في اختيار أفعاله ومسئوليته عن أعماله، في مظلة من القيود أو النواميس الكونية بحيث لا يستطيع اختراقها كالحياة والموت، والإقامة والارتحال، والقوة والضعف، والعز والذل، وكلٌّ ميسَّر لما خُلِق له، في نطاق المشيئة والإرادة الإلهية، فليس الإنسان مجبوراً ظاهراً وباطناً، ولا خالقاً لأفعاله، من غير تدخل خلق الله وإيجاده، لقوله تعالىٰ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، والإنسان فاعل مختار ضمن ظروف وأحوال محيطة به، فهو في شأنه وسط، وهو حر في حدود النظام الكوني العام، وما مثله إلا كمثل من يعيش في حديقة غنّاء واسعة يتمتع بكل ما فيها من خيرات ونعم وثمار وظلال، ويتجنب ما قد يكون فيها من مخاطر ومضار، ولكنه لا يستطيع تجاوز سور الحديقة، وندرك حينئذ معنىٰ العمل وفائدة الدعاء وطلب التوفيق من الله تعالىٰ.

٨- تتميز العبادات المفروضة ونوافلها في الإسلام من طهارة وصلاة وصيام وحج وزكاة ونحوها باليسر والسماحة، وقلة التكاليف، وسهولة الممارسة، والبعد عن التشدد والغلو والتنطع، وكون المشقة فيها معتادة، فضلاً عن فوائدها الجمة، وآثارها التهذيبية والاجتماعية، والتعبير بها عن

عبودية الإنسان لله الخالق، فإن لله – تعالى – حقوقاً على عباده، بل إنَّ الغاية الأصلية من الخَلْق الإلهي للبشرية هي عبادة الرب –تبارك وتعالى–كما قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وهذه نقاط مضيئة ومثمرة لبناء الفرد والجماعة، والأمة والدولة، وتلك وسطية بنَّاءة أو إيجابية، وتربية ناجحة على الدوام، لا تقتصر على فترة زمنية سرعان ما يتناسى الإنسان آثارها ومراميها.

٩- استقرار نظام الأسرة: فيحرص الإسلام على بناء الأسرة القوية المتماسكة الجادة المتعاونة لكونها الخلية الأولى للمجتمع، فالآباء والأجداد والأولاد والأحفاد يعملون كأنهم في معسكر تدريب فعَّال لتحقيق الكفاية الإنتاجية الذاتية، ورفد المجتمع ببناة الجيل الصاعد، وبقاء النوع الإنساني، وانطلاق هذه المؤسسة الصغيرة نحو تحقيق آفاق الحياة المنضبطة والسخية والقوية في آن واحد، ونظام الأسرة المسلمة القائم على التعاون والتراحم والتسلح بقيم الأخلاق الفاضلة بدءاً من الزواج حتى انتهاء الرابطة الزوجية بالطلاق الاضطراري أو الموت: نظام وسطي معتدل، يضم بين أجنحته إذا التُزِمت آداب الإسلام وروعيت ضوابط أحكامه وشرائعه كلَّ ما يحقق الخير والتقدم والسعادة، لقيامه على قواعد العدل والمساواة والحرية المنظمة، والضرورة أو الحاجة أو الحالات الاستثنائية التي لولاها لأصبحت الحياة الزوجية جحيماً لا يطاق، ويشير لكل هذا بإيجاز قول الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١] وقوله سبحانه: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩] وما المعروف إلا التوسط في المعاملة بحسب العرف والعادة الصحيحة، وضمن موازين الشرع.

١٠- تكامل نظام المسؤولية المدنية: المسؤولية عنوان التكريم الإنساني؛ لأنَّ إهمال الإنسان وتعطيل قواه أمارة على الإهمال والتخلي والنبذ، والتقصير في القيام بالمسؤولية دليل على عدم المبالاة، وتحدي نظام المجتمع، والتجرد من الإنسانية، وعماد المسؤوليات الدنيوية هو النظام المدني بتنظيم العقود والتصرفات والأنشطة الاقتصادية من إنتاج واستثمار وادخار وتوزيع، وتوجيه كل الأنشطة الصناعية والتجارية والخدمات نحو ما

يحقق المصلحة العامة أو العليا للأمة، وأساس المعاملات في الإسلام هو الحرية الاقتصادية المنظمة، والعدالة والمساواة وأداء الحقوق وتنفيذ الالتزامات، لقول الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١] والابتعاد عن إلحاق الجور والظلم والمساس بحقوق الآخرين أو أكل أموال الناس بالباطل، لقوله سبحانه: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٢٩] والأصل في العقود كالبيع والإيجار وكذا الشروط هو الإباحة، إلا ما صادم مقتضى العقد أو النص الشرعي، أو القواعد العامة كالربا والغرر والقمار والغش، وهذا دليل الوسطية والاعتدال، لتحقيق مصلحة الأمة والدولة والأفراد.

١١- تكامل نظام المسؤولية الجنائية من أجل حفظ الأمن والحفاظ على نظام التدين، والأرواح أو الأنفس، والعقول، والأنساب أو الأعراض، والأموال، فَيُعَاقَبُ الزناة واللصوص ورماة العفيفات بالفاحشة والمحاربون والسكارى بالعقوبات الزاجرة أو الرادعة المناسبة لشدة الجريمة وخطورتها، كما يُعاقَب القتلة أو سفاكو الدماء والمفسدون والمخربون على أساس من العدل والمماثلة أو المساواة، لإطفاء حزازات النفوس ومنع عادة الأخذ بالثأر، يشير إلى ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩] ويكون العفو عن جرائم الحدود قبل رفعها إلى القضاء، وكذا بعد الادعاء أمام القضاء في القصاص مجاناً أو إلى الدية هو الأفضل والأقرب إلى رضوان الله، لقوله تعالى في العفو عن الدية: ﴿إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا﴾، وهذا التخيير بين عقوبة القصاص والدية والعفو مما تميزت به شريعتنا للدلالة على الوسطية والاعتدال، فقد شرع القصاص وحده في الديانة اليهودية، والعفو وحده في الديانة المسيحية، ثم جاء النظام الإسلامي جامعاً بين المزايا كلها، لإبقاء صنائع المعروف والمودة والفضيلة، وتقليل تطبيق العقوبة، وجعله هو الشائع بين الناس.

١٢- ترسيخ مجالات العلاقات الدولية: الإسلام مستمد من السلام، فالله هو السلام، والجنة هي دار السلام، وتحية الإسلام السلام، وتحية الله والملائكة لأهل الجنة هي السلام: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤] والمسلمون مطالبون بتعميم

السلام، ومحاربة الإرهاب غير المشروع لقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]؛ وقوله سبحانه: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١] وقوله عز وجل: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء: ٩٤]، والأصل "القاعدة العامة" في علاقات المسلمين بغيرهم هو السلم لا الحرب، والباعث على القتال هو العدوان، وإقرار الحرب مع النهي عن الاعتداء إنما هو للضرورة ودفع العدوان ومقاومة الغاصبين والمحتلين وطردهم من ديار المسلمين والمستضعفين والمظلومين، لقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]، إنَّ نداء الإسلام في الأسرة الدولية واضح المعالم لقيامه على مبدأ التعاون والتفاهم، والتزام شرعة الحق والعدل، كما جاء تحديده وبيان منهجه في القرآن الكريم: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]، وهذا مَعْلَم آخر مهم جداً في تقرير وسطية الإسلام واعتداله ولا سيَّما في ظروفنا المعاصرة.

١٣- تشييد نظام الحكم الصالح: إنَّ من أهم خصائص نظام الحكم في الإسلام إقامة العدل والمساواة في الحقوق والواجبات، والشورى في القضايا العامة، ومنع الظلم والتعدي والاستبداد، والاحتكام إلى شرع الله فيما تقرر في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، وممَّا لا شك فيه أنَّ ملازمة هذه الخصائص وتفعيلها ومراعاتها في مجال التطبيق يحمي الأمة من كل آفات الانحراف والضياع والضعف والتفكك والتفرقة، ويجعل الأمة والدولة قوية رصينة، تحمي الحمى، وتدفع الاعتداء، وتمحو مظاهر التخلف، وتحقق تقدم الحياة والمدنية، وتبني الحضارة الجامعة للمادة والروح أو وسائل الرقي المادي والترفع أو السمو الروحي، على أساس من التفوق العلمي والصناعي والتقني، وواضح أنَّ هذا كله هو منهج الوسطية والاستقرار والبعد عن كل أسباب الاضطراب والمشكلات الخاصة والعامة.

المبحث الثاني:

مقام الوسطية في العقيدة الإسلامية

ويتكون من سبعة مطالب:

المطلب الأول: وسطية أهل السنة في توحيد الباري سبحانه:

لا يتحقق مقام الوسطية إلا بتوحيد رب العالمين حق التوحيد؛ فالإيمان بالله تعالى يقتضي تصديقا بالقلب، وإقرارا باللسان، وعملاً بالجوارح، الأمر الذي يجعله شاملاً لسائر الأصول، ولجميع الفروع في الحياة الدنيوية والأخروية، ومن هنا ارتبطت سائر الأعمال بالعقيدة، بحيث لا يكون الإيمان كاملاً إلا بقيام حكم الله فيهم، مما يدعم تماسك الأمة، ووحدة فكرها، وتعاون الراعي والرعية في تطبيق شريعة الله تعالى[1].

يتقدم الكلام عن الله تبارك وتعالى لشرف الحديث عن الباري سبحانه؛ فهو أول الواجبات، بل أوجب الواجبات، فلذلك كان عنوان نظرية الوسطية في العقيدة الإسلامية، وركيزة بنائها، وعمود فسطاطها؛ إثبات وجود الله تعالى؛ "لأنَّ الحكم بوجوب الواجبات له تعالى، واستحالة المستحيلات عليه تعالى، وجواز ما يجوز في حقه تعالى لا يتعقل إلا بعد الحكم بوجوب الوجود له تعالى"[2].

ومن أهم مظاهر وسطية أهل السنة والجماعة في باب التوحيد التوسط في إثبات الوجود بين الملحدين النافين لوجود إله؛ مثبتين حاجة العالم إليه، وافتقاره لنعمه وآلائه سبحانه، وبين المثبتين لأكثر من إله؛ فيعبدون آلهة كثيرة، متناسين دلائل الوحدانية الباهرة، كقوله تعالى على لسان يوسف الصديق عليه السلام: ﴿يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩]، وقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ

---

(١) ينظر: النظام السياسي في الإسلام (ص: ٣٢-٣٣) د أحمد أحمد غلوش، مؤسسة الرسالة -القاهرة، ط٢، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

(٢) حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد المسمى "تحفة المريد على جوهرة التوحيد"، تحقيق: د. علي جمعة، ص: ١٠٤، نشر دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م الطبعة السادسة.

بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩]، "كذلك لا يستوي المشرك الذي يعبد آلهة مع الله، والمؤمن المخلص الذي لا يعبد إلا الله وحده لا شريك له، فأين هذا من هذا؟ قال ابن عباس، ومجاهد، وغير واحد: هذه الآية ضربت مثلا للمشرك والمخلص، ولما كان هذا المثل ظاهرا بينا جليا، قال: ﴿الحمد لله﴾ أي: على إقامة الحجة عليهم، ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ أي: فلهذا يشركون بالله"(١).

كما أنَّ من مظاهر الوسطية عند أهل السنة والجماعة التوسط بين أهل الحلول والاتحاد، وبين أهل وحدة الوجود؛ فيثبتون لله تعالى وجودا مغايرا للمخلوقات، بصفات مثبتة لله تعالى مغايرة لصفات المخلوقين، دائمة بدوام الذات تعالى الله عن صفات المخلوقين، ووجوده من ذاته فهي صفة نفسية لا تعقل الذات الإلهية إلا بوجودها(٢).

ومن أهم مظاهر الوسطية: أنَّ أهل السنة والجماعة وسط في توحيد الله تعالى، بين أهل النفي والتجسيم، وأهل التشبيه والتمثيل؛ فأهل السنة والجماعة يؤمنون بكل ما وصف الله به نفسه، أو وصفه رسوله -صلى الله عليه وسلم-، ويؤمنون بجميع أسمائه الحسنى، تصديقا بخبره عن نفسه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى من آية ١١].

ومن مقتضى وسطية الإيمان بأسماء الله وصفاته أن نوقن أنَّ رب الأرباب -سبحانه وتعالى- وضع الميزان لهذا الكون، ما نعلمه منه وما نجهل، لتنظيم الحياة وفق نظام رباني يجمع بين الانسجام والتناغم وبين الاعتدال والتوازن، وهو ما يؤكد أنَّ الوسطية أصل النظام الكوني، وأنَّها عنصر من عناصر الخلق.

وكما ينطبق هذا النظام الرباني على الحياة والكون، ينطبق أيضاً على الإنسان بدرجة أولى، بحيث إنَّ المنهج الذي يصلح للإنسان هو المنهج الوَسَطي، وهو ما جاءت به الرسالة الإسلامية الخاتمة التي اشتملت على القواعد والأصول وكليات الأحكام.

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/ ٩٦).

(٢) ينظر: حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد، مرجع سابق ص: ١٠٦-١٠٧.

فالوسطية هي المنهج الرباني، والنظام الكوني الإلهي، وسنة اللهَّ في خلقه، وهي تنسجم مع الفطرة الإنسانية، ولذلك فالخير كلُّه في الوسطية التي جاء بها الإسلام للأمة الإسلامية وللإنسانية جمعاء، في كل زمان ومكان، وقد بلغت الوسطية الإسلامية وتبلغ هذا المقام في حضارتنا؛ لأن بنفيها الغلو الظالم والتطرف الباطل، إنما تمثل الفطرة الإنسانية الطبيعية في براءتها، وفي بساطتها، وبداهتها، وعمقها، وصدق تعبيرها عن فطرة اللهَّ التي فطر الناس عليها، أنَّها صبغة اللهَّ[1].

المطلب الثاني: وسطية أهل السنة في باب القضاء والقدر:

من أهم أركان الإيمان: الإيمان بالقدر خيره وشره؛ غلا فيه القدرية التي تنسب أفعال العباد إلى قدرهم، وغلا فيه المعتزلة فنسبوا أفعال العباد إلى قدرتهم المنفردة عن قدر الله!

أما أهل السنة والجماعة وسط بين الجبرية والقدرية؛ فيؤمنون بأن الله قدر الأشياء في الأزل، وعلم أنَّها ستقع في أوقات معلومة عنده، وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع وفق ما قدره الله عز وجل؛ خيراً أو شراً، والواجب الرضا بالقضاء والقدر، ولا يعني ذلك الرضا بالمقدور والاحتجاج بالقدر، فعدم الاعتراض على القدر يقتضي الإيمان بحكمة الله فيه، والعمل بالأسباب للانتقال من الشر إلى الخير، ومن الذنب والمعصية إلى التوبة والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَّ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللهَّ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٥٣][2].

فالإيمان بالقضاء والقدر يحقق الوسطية؛ والتي تعني التوازن الذي تقوم عليه سنة اللهَّ في خلقه، يقول تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر، الآية ٤٩]، أي بمقدار وبميزان، ووفق نظام رباني ومشيئة إلاهية، ولحكمة أرادها اللهَّ تعالى، ويقول اللهَّ تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان، الآية ٢]، أي وفق تقدير مسبق وثوابت وسَنَن لا تبديل لها.

---

(١) معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، د. محمد عمارة، ص: ١٨٩، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٧م.

(٢) ينظر: حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد، مرجع سابق ص: ١٨٧-١٩٠.

وهذا التوازن الذي يعني في الوقت نفسه الاعتدال، والتكافؤ بين العناصر والمقومات والمكونات جميعاً والتكامل فيما بينها، هو القاعدة الثابتة للوسطية، وهو الخاصية الجوهرية الذي تتميّز به، فإذا انتفىٰ هذا التوازن، فقدت الوسطية عنصرها الأساس؛ لأنَّها في هذه الحالة تميل مع الأهواء، فتصبح تفريطاً أو إفراطاً، وهما بابان من أبواب التطرف في أحد الاتجاهين الإيجابي أو السلبي، وإن كان لا خير في التطرف من حيث هو، وإن حسنت النوايا؛ لأنَّه شرٌّ كلّه وعاقبته وخيمة في جميع الأحوال.

فأهل السنة والجماعة وسط بين الجبرية القائلين بأنَّ الله الخالق لكل أفعال العبيد، بدون اختيار منهم، كتب عليهم الذنوب، وعاقبهم عليها؛ فينسبون لله تعالىٰ الظلم والجور سبحانه، قال تعالىٰ: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران: ١٨٢]، قال تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

وبين المعتزلة القائلين بالحرية المطلقة للعبد فلا يعلم الله تعالىٰ ما العباد فاعلون إلا بعد فعلهم، فوقعوا في جعل العبد فاعلا بدون اختيار من الله تعالىٰ عن قولهم وغفلوا عن قول الله تعالىٰ: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام: ١١١]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠]، كما وقعوا في وصف الله تعالىٰ بالجهل، وعدم العلم بالفعل إلا بعد وقوعه، وعدم قدرته علىٰ الفعل والترك؛ وتناسوا قول الله تعالىٰ: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

فأهل السنة والجماعة يعتقدون أنَّ العبد له أفعال مسير فيها في ما لا حساب عليه فيها مثل: متىٰ يولد، ومتىٰ يموت، ولماذا كان ذكرا أو أنثىٰ، ولونه، ووالديه، فكل هذا قدر لا سؤال فيه علىٰ العبد في الآخرة، وإنما الأعمال الاختيارية كالصلاة والزكاة والصوم، خيَّر الله فيها العبد بين الفعل والترك، وجعل عليها الثواب والعقاب [1]، قال تعالىٰ مثبتا فعل العبد اختيارا؛ وبناء عليه أثبت له جزاء بعدما خلق له ما أراد بعلمه السابق سبحانه باختيار العبد: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٤ - ١٠].

المطلب الثالث: وسطية أهل السُّنَّة والجماعة في باب الوعد والوعيد:

أهل السنة والجماعة وسط في نصوص الوعد والوعيد، فهم وسط بين الوعيدية والمرجئة، فيؤمنون أنَّ الله تعالىٰ وعد المؤمنين والمطيعين بالثواب الجزيل، وأنَّه أعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، ووعدهم بألوان من الأجر والجزاء، ومغفرة الذنوب فيما دون الشرك، وتكفير السيئات، وإبدالها حسنات، ونحو ذلك، ومن هذه النصوص: قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، وهذه يقال لها: نصوص الوعد.

كما يؤمنون أنَّ الله تعالىٰ توعد بالوعيد الشديد وبالعذاب الأليم أهل الفسق والمعاصي وأصحاب الكبائر، ومن هذه النصوص: قوله -سبحانه وتعالىٰ-: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]، وهذه تُسمَّىٰ نصوص الوعيد.

والناس قد افترقوا في هذه النصوص إلىٰ طرفين، ووسط.

---

(١) الكلم الطيب (فتاوىٰ عصرية)، د. علي جمعة، ج ١ ص: ١٨٢، نشر دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م الطبعة الثالثة.

فالمرجئة أخذوا بنصوص الوعد، وتركوا نصوص الوعيد، وقالوا: كل ذنب سوى الشرك فهو مغفور؛ فالإيمان لا تضر معه معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وإنما ضلوا في هذا الباب بسبب عبادتهم الله بالرجاء وحده، وإهمال جانب الخوف، فلا يدخل النار أحد من أهل القبلة عندهم.

والوعيدية أخذوا بنصوص الوعد والوعيد، وغلوا في نصوص الوعيد، وقالوا: لا بد أن ينجز الله وعده ووعيده، ولا يصح أن يخلف أيًّا منهما، وسبب ضلالهم في هذا الباب: عبادتهم الله بالخوف وحده، وإهمال جانب الرجاء.

وأهل السنة في هذا الباب وسط فيأخذون بنصوص الوعد والوعيد؛ فيجمعون بين الخوف والرجاء، ولا يفرطون في نصوص الوعيد كالمرجئة الخالصة، ولا يغلون فيها كالوعيدية، فيقولون في الوعيد: يجوز أن يعفو الله عن المذنب، وأن يخرج أهل الكبائر من النار، فلا يخلد فيها أحدا من أهل التوحيد، ويقولون في الوعد: إنَّ الله لا يخلف وعده، فـ"إذا وعد عباده بشيء، كان وقوعه واجبا بحكم وعده؛ فإنَّه سبحانه الصادق في خبره، الذي لا يخلف الميعاد"[1].

المطلب الرابع: وسطية أهل السنة في باب الأسماء والأحكام:

أولا: وسطية أهل السنة والجماعة في تسمية المسلمين:

المراد بالأسماء هنا: أسماء الدين، وهي تلك الألفاظ التي رتب الله -عزَّ وجلَّ- عليها وعدا ووعيدا؛ مثل: مؤمن، ومسلم، وكافر، وفاسق.

والمراد بالأحكام: أحكام أصحاب هذه الأسماء في الدنيا والآخرة.

والناس في أحكام عصاة المسلمين وأسمائهم، قد انقسموا إلى طرفين ووسط:

---

(١) ينظر مقالات الإسلاميين (ص: ١٤٧) وما بعدها، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، عنى بتصحيحه: هلموت ريتر، الناشر: دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا)، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

الوعيدية: سلبوا اسم الإيمان عن العاصي في الدنيا، وسموه: إما كافرا كالخوارج، أو في منزلة بين الإيمان والكفر؛ فلا هو مؤمن ولا كافر، كالمعتزلة[1].

والمرجئة والجهمية: زعموا أنَّ العاصي مؤمن كامل الإيمان؛ لأنَّ الإيمان عندهم مجرد ما في القلب، أو المعرفة القلبية، وهم الذين قالوا: "لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة".

أمَّا أهل السنة والجماعة: فقد أطلقوا على مرتكب الكبيرة اسم: "مؤمن عاص، أو مؤمن فاسق، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته"، فلا يزيلون عنه اسم الإيمان بالكلية بذهاب بعضه، ولا يعطونه اسم الإيمان المطلق، والله -سبحانه وتعالى- قد سمَّى المقتتلين مؤمنين؛ فقال: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾، إلى أن قال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ٩-١٠].

ثانيا: وسطية أهل السنة والجماعة في الحكم على مرتكبي الكبائر في الآخرة:

انقسم الناس في الحكم على العاصي المرتكب الكبيرة إلى طرفين ووسط:

الوعيدية حكموا بخلود أصحاب الكبائر في النار في الآخرة؛ فالخوارج قالوا: إنَّ أهل الكبائر خالدون مخلدون في النار، لا يخرجون منها أبدا؛ والمعتزلة قالوا: يدخلون النار، ويخلدون فيها أبد الآبدين، ودهر الداهرين[2]، ويظهر من أقوال الفرقتين تشابه موقفهم في حكم مرتكب الكبيرة في الآخرة.

أمَّا أهل السنة والجماعة فقالوا: إنَّ حكم مرتكب الكبيرة في الآخرة أنَّه يُخاف عليه العقاب، ويُرجى له الرحمة؛ فمن لقي الله مصرا غير تائب من الذنوب التي استوجب بها العقوبة، فأمره إلى الله -عزَّ وجلَّ-؛ إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له؛ فإن غفر له، وأدخله الجنة دون عذاب ولا عقاب، فبفضله، وإن أدخله النار وعذبه بقدر ذنوبه، فبعدله. ثم إنَّه لا يخلد في النار كالكفار، وهم في ذلك ينطلقون من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: من الآية ٤٨].

---

(١) انظر شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار المعتزلي ص٦٩٧، مطبعة الاستقلال الكبرى، ط١، ١٣٨٤هـ القاهرة.

(٢) انظر شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار المعتزلي ص٦٦٦.

ثالثا: وسطية أهل السنة والجماعة في الحكم على المبتدعة: من معالم الوسطية كذلك لدى أهل السنة والجماعة موقفهم من المبتدعة والمخالفين، فلا يكفرون كلَّ مَنْ قال قولاً مبتدعاً، فإنَّ الرجل يكون مؤمناً ظاهراً وباطناً، لكن تأوَّل تأويلاً أخطأ فيه، إما مجتهداً، وإما مفرطاً مذنباً، فلا يقال: إنَّ إيمانه حبط بمجرد ذلك إلا أن يدل دليل شرعي؛ لكي يُبين أنَّ هذه الأقوال المبتدعة المنحرفة، المتضمنة نفي ما أثبته الله ورسوله، أو إثبات ما نفاه الله ورسوله، كفر – إن كانت مكفرة– ويثبت لها الوعيد الذي دلت عليه النصوص، ويقال: إنَّ من قالها كافر، ونحو ذلك على سبيل العموم، أمَّا الشخص المُعين فلا يشهدون على معيَّن أن الله لا يغفر له، ولا يرحمه؛ لأنَّ الشخص المعيَّن يمكن أن يكون ممن لم يبلغه النص، ويمكن أن يكون له إيمان عظيم وحسنات أو جبت له رحمة الله[1].

فالأشاعرة: "لا يكفرون أحداً من أهل القبلة بذنب يرتكبه كنحو الزنا والسرقة وما أشبه ذلك من الكبائر وهم بما معهم من الإيمان مؤمنون وإن ارتكبوا الكبائر، والإيمان عندهم هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالقدر خيره وشره حلوه ومره وأن ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم وما أصابهم لم يكن ليخطئهم والإسلام هو أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله على ما جاء في الحديث والإسلام عندهم غير الإيمان"[2].

رابعا: وسطية أهل السنة والجماعة في معالجة الأخطاء البشرية: من البديهيات المقررة شرعا وعقلا وحسا، أن الخطأ ملازم للبشر، لا ينفك عنهم البتَّة، مهما بلغ أحدهم في مقام الاستقامة والتقوى.

ولذلك وضع قادة الإصلاح والتربية والتوجيه هذه الحقيقة نصب أعينهم، وكان الواجب عليهم حينئذ أن يكون منهجهم المرسوم في تصحيحهم للأخطاء التي تجري في محيطِهم العملي في بعد

---

(١) منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين (ص: ٤٥) أحمد بن علي الزاملي عسيري، إشراف: عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة – كلية أصول الدين – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤٣١هـ.

(٢) مقالات الإسلاميين ت ريتر (ص: ٢٩٣).

تام عن دائرة الأهواء البشرية، والأمزجة الشخصية الواقعة، إمَّا في طرف الإفراط أو التفريط، وهذا ما لا يكون أبدا إلا في ظل معالم الوسطية التي أرسى دعائمها النبي صلى الله عليه وسلم ووضع أسسها في معالجته لتلك الأخطاء البشرية؛ لتكون بذلك تشريعا محكما، ينطلق منه المسلمون؛ أصلا ومنهجا، وسلوكا فاعلا في توجيه مسيرة الحياة وتقويم اعوجاجها؛ تحقيقا للمصالح، ودفعا للمفاسد.

فمن الوسطية التثبت قبل الحكم، ومن قرأ قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه؛ حينما بعث كتابا إلى كفار قريش يخبرهم فيه بأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم يريد غزو مكة، فلم يسارع رسول الله صلى الله عليه وسلم في إصدار الحكم عليه، أو القضاء فيه رغم مطالبة عمر رضي الله عنه بقتله في الحال وخطورة صنيعه وجسامة فعله؟! بل إنَّ النبي صلى الله عليه وسلم سأله سؤال المتثبت، وفي غاية الهدوء والروية، قال له: «يَا حَاطِبُ مَا هَذَا؟» [1] وعن علي رضي الله عنه وقال له كذلك: «مَا حَمَلَكَ يَا حَاطِبُ عَلَى مَا صَنَعْتَ» [2].

ومن الوسطية في التعامل مع المخالفين التفهم لعقلية المخاطب والتعليم بالرفق: قصة الرجل الذي بال في المسجد؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ»، فتركوه حتى بال، ثم إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه فقال له: " «إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ»، قال: فأمر رجلا من القوم فجاء بدلو من ماء فشنه عليه" [3]، فانشرح صدر الأعرابي لهذه المعاملة الحسنة، ولهذا رأيت بعض العلماء نقل أنَّ هذا

---

(١) صحيح البخاري (٤/ ٥٩)، كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ الجَاسُوسِ، حديث رقم: ٣٠٠٧. وأخرجه مسلم كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم رقم ١٦١ - (٢٤٩٤).

(٢) صحيح البخاري (٨/ ٥٨) كِتَابُ الِاسْتِئْذَانِ، بَابُ مَنْ نَظَرَ فِي كِتَابِ مَنْ يُحْذَرُ عَلَى المُسْلِمِينَ لِيَسْتَبِينَ أَمْرُهُ، حديث رقم: ٦٢٩٥.

(٣) صحيح البخاري، (٨/ ١٢) بَابُ الرِّفْقِ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ، برقم ٦٠٢٥. صحيح مسلم (١/ ٢٣٦)، كِتَابِ الطَّهَارَةِ، بَابُ وُجُوبِ غُسْلِ الْبَوْلِ وَغَيْرِهِ مِنَ النَّجَاسَاتِ إِذَا حَصَلَتْ فِي الْمَسْجِدِ، وَأَنَّ الْأَرْضَ تَطْهُرُ بِالْمَاءِ، مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى حَفْرِهَا رقم ١٠٠ - (٢٨٥).

الأعرابي قال: "اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا وَلَا تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا" [1]؛ لأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم عامله هذه المعاملة الطيبة، أمَّا الصحابة رضوان الله عليهم، فسعوا في إزالة المنكر من غير تقدير لحال هذا الرجل الجاهل.

ومن الوسطية الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن وتفهم رغبات الناس: وخير مثال قصة الشاب الذي يستأذن في الزنا؛ فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ، مَهْ فَقَالَ: "ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا"، قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: "أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟" قَالَ: لَا، وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ"، قَالَ: " أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ " قَالَ: لَا، وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ"، قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟" قَالَ: لَا، وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ "، قَالَ: " أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ " قَالَ: لَا، وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ "، قَالَ: " أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟ " قَالَ: لَا، وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ "، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: " اللهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ " قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ" [2].

فانظر كيف عالج النبي صلى الله عليه وسلم هذا الداء برحمة ولين ورفق، ما عنفه، وما حمل عليه بقسوة، بل جعل يخاطب عقله، ويقوي في نفسه روح الخير، ويضعف في نفسه نار الشهوة، وهكذا يتضح أنَّ منهج النبي صلى الله عليه وسلم كان قائما على الاعتدال والوسطية والتيسير والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، وعماده اللين والرفق في غير ضعف، واستخدم العقل والنقل والتقبل

---

(١) إسناده صحيح على شرط الشيخين. مسند أحمد (١٢/ ١٩٧-١٩٨)، وورد بأرقام (٧٢٥٥، ٧٨٠٢، ١٨٧٩٩) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

(٢) أخرجه أحمد برقم (٢٢٢١١) بإسناده صحيح، (٣٦/ ٥٤٥).

والتفهم لشخصية الشاب المتشبعة بحرارة الشهوة التي كانت ستردیه؛ لولا أنَّ من الله عليه بلقاء المصطفى صلى الله عليه وسلم.

المطلب الخامس: وسطية أهل السنة في التعامل مع ولاة الأمر:

من وسطية أهل السنة والجماعة، النصيحة لولاة الأمر والتعاون معهم في خير البلاد والعباد، وعدم الخروج عليهم، وترك مناوئتهم، وهذه طريقة السلف والخلف، وما عليه الصالحون من علماء الأمة؛ قال ابن حجر: "وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب، والجهاد معه، وأنَّ طاعته خير من الخروج عليه؛ لما في ذلك من حقن الدماء، وتسكين الدهماء، وحجتهم هذا الخبر" [1]، يعني ما جاء ابْن عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً» [2].

وقال النووي: "وأما النصيحة لأئمة المسلمين؛ فمعاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وأمرهم به، وتنبيههم، وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين، وترك الخروج عليهم، وتألف قلوب الناس لطاعتهم، قال الخطابي رحمه الله: ومن النصيحة لهم: الصلاة خلفهم، والجهاد معهم، وأداء الصدقات إليهم، وترك الخروج بالسيف عليهم؛ إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة، وأن لا يغروا بالثناء الكاذب عليهم، وأن يُدعى لهم بالصلاح، وهذا كله على أن المراد بأئمة المسلمين الخلفاء وغيرهم ممن يقوم بأمور المسلمين من أصحاب الولايات" [3].

---

(١) فتح الباري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي (١٣/ ٧).

(٢) صحيح البخاري (٩/ ٤٧) برقم ٧٠٥٤، كِتَابُ الفِتَنِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَتَرَوْنَ بَعْدِي أُمُورًا تُنْكِرُونَهَا».صحيح مسلم (٣/ ١٤٧٧) كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ الْأَمْرِ بِلُزُومِ الْجَمَاعَةِ عِنْدَ ظُهُورِ الْفِتَنِ وتحذير الدعاة إلى الكفر، برقم ٥٥ - (١٨٤٩).

(٣) شرح النووي على مسلم، المسمى المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢ (٢/ ٣٨).

وغير ذلك من النصوص؛ اكتفينا بمثالين لعدم الإطالة!

المطلب السادس: وسطية أهل السنة والجماعة في التلقي والبلاغ عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم:

نجد الناس في مذاهبهم المختلفة والمتباينة يعتمدون لاكتساب معارفهم في الفكريات والنفسيات والسلوكيات على بعض الأدلة الصحيحة دون بعض أو على ما لا يصح عقلا وواقعا أن يكون دليلا منطقيا، فمن الناس من يقتصر على أدلة العقل نابذا الخبر الصادق، ومنهم من يعتمد أدلة الحس، نابذا ما سواها، ومن الناس من يكتفي بالتقليد الأعمى لغيره، ومنهم من يتبع الظنون، أو الشهوات، أو الشبهات، فضلوا وأضلوا[1].

فمن مظاهر الوسطية في مصادر العلم الشرعي توسط أهل السنة والجماعة بعيدا عن فئة غلو حتى لم يقروا بغير القرآن مصدراً للتشريع، وإنكروا السنة، وتركوا الانقياد لها، أو جهلوها وإهملوها، وكان هذا مبدأ نشأة الخوارج الذين غلوا في القرآن؛ فلم يرضوا بالأحاديث وإن صحت، وبالآثار وإن اشتهرت، وبالاجماع وإن عليه الأمة قد أطبقت، وأدلة العقل وإن كانت في غاية الحكمة واليقين.

فلما أهملوا سنته -صلى الله عليه وسلم-؛ عملوا بمتشابه القرآن، ووتركوا عمومات ومطلقات القرآن التي تحتاج إلى السنة ترفع تشابهها، أو تخصص عمومها، أو تقيد مطلقها، وهذه الطائفة تتكرر في كل زمان، ولعلها الفئة التي أشار إليها رَسُول اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، حين قَالَ: " لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ، يَأْتِيهِ الأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ، أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ، فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، مَا وَجَدْنَاهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبَعْنَاهُ "، وَفِي الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ لَا حَاجَةَ بِالْحَدِيثِ إِلَى أَنْ يُعْرَضَ عَلَى الْكِتَابِ، وَأَنَّهُ مَهْمَا ثَبَتَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -كَانَ حُجَّةً بِنَفْسِهِ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أَلا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»، وَأَرَادَ بِهِ أَنَّهُ أُوتِيَ مِنَ الْوَحْيِ غَيْرِ الْمَتْلُوِّ، وَالسُّنَنِ الَّتِي لَمْ يَنْطِقِ الْقُرْآنُ بِنَصِّهَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ مِنَ الْمَتْلُوِّ، قَالَ اللَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ

---

(١) ينظر: الوسطية في الإسلام، الشيخ عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني (ص: ١٥-١٦) نشر مؤسسة الريان - بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الْبَقَرَة: ١٢٩] فَالْكِتَابُ: هُوَ الْقُرْآنُ، وَالْحِكْمَةُ: قِيلَ: هِيَ السُّنَّةُ، أَوْ أُوتِيَ مِثْلَهُ مِنْ بَيَانِهِ، فَإِنَّ بَيَانَ الْكِتَابِ راجع إِلَى الرَّسُولِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النَّحْل: ٤٤].

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: إِنَّهُ سَيَأْتِي أُنَاسٌ يَأْخُذُونَكُمْ بِشُبُهَاتِ الْقُرْآنِ، فَخُذُوهُمْ بِالسُّنَنِ، فَإِنَّ أَصْحَابَ السُّنَنِ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللهِ.

قَالَ الزُّهْرِيُّ: لَا تُنَاظِرْ بِكِتَابِ اللهِ، وَلا بِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، أَيْ: لَا تَجْعَلْ شَيْئًا نَظِيرًا لَهُمَا، فَتَدَعَهُمَا لِقَوْلِ قَائِلٍ[1]، والمتأمل في كثير من مسائل الضلالة، يجدها تعود إلى هذا الباب.

وهذا العمل يؤدي إلى غلو الإنسان بنفسه، وأن يضعها في مكانة فوق ما تستحقه، حتى إنَّه ليظن أنَّه أحاط بالشريعة علما، وليس لديه إلا أقل القليل من نصوص لعله لم يحسن فهمها، ولم يع فقهها، ثم يحاكم الأمة إلى علمه هذا، ويرفض كل فقه أو علم لدى من سبقوه في أبواب العلم والفقه لرجال أفنوا أعمارهم، وأخلصوا تجاربهم له، ظنا منه أنَّ هؤلاء قد حيل بينهم وبين الفهم السليم والفقه الراشد؛ وكل انحراف أو زيغ في طريقة تحصيل العلم أو التأدب بآدابه، أو أداء حقه وواجبه، إنما مرده إلى شيء من الغلو في طريقة من طرق العلم، تفقد نوره وبهاءه، وتذهب ببركته.

أمَّا وسطية الإسلام تقوم على اليقينيات من البراهين العقلية والنقلية؛ وإدراكات الحس التي توصل إلى النتائج اليقينية القطعية، وعلى الأخبار الصحيحة النقية، وعلى الوحي المؤيد بالمعجزة العلمية والحسية، ويقبل في الظنيات الظن الراجح المبني على العقل والحس والنقل الصحيح والفهم الصريح والمقاييس العقلية والمصالح ومعرفة المفاسد، ويرفض التقليد الأعمى ويدعو للاجتهاد ممن هو أهله وتحققت فيه شروطه، ويشجع الفكر ويرفض الحجر على العقول[2].

---

(١) ينظر: شرح السنة للبغوي (١/ ٢٠٠-٢٠٢)، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، كِتَابُ الإِيمَانِ، بَابُ الاعْتِصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ رقم ١٠١.

(٢) ينظر: الوسطية في الإسلام (ص: ١٦-١٧).

المطلب السابع: الوسطية الإسلامية في التشريعات:

من أهم قواعد نظرية الإسلام الوسطية: تفاوت الشرائع؛ فليست الشرائع على درجة واحدة، فهناك ما هو ركن، وما هو واجب، وما هو مستحب. . الخ، وكذلك المحظورات ذات درجات.

فالشرائع من شعب الإيمان، والمحظورات من شعب الكفر، ومن أصول أهل السنة أنَّه يمكن أن يجتمع في الشخص الواحد كفر وإيمان، ويكون الشخص مؤمنا، في حين يسوي أهل الغلو بين شرائع الإسلام، فيكفرون بكل ذنب ولو كان دون الشرك، في حين خالف المرجئة، واكتفوا بمجرد التصديق، وقالوا: لا يضر ذنب مع التصديق. والوسط: هو قول أهل السنة، كما هو معلوم مفصل في موضعه.

ومن مظاهر الوسطية في الإسلام عدم إلزام الناس طريقة واحدة، أو نمطا واحدا من أنماط البر، فهناك الصائم، والقائم، والذاكر، والعالم، والمجاهد، وفاعل المعروف، والمتصدق.....الخ، وكلهم يؤدي شيئا من الإسلام، ومجموع أعمالهم تمثل شريعة الإسلام الواسعة الشاملة، وهذا التنوع ليس مسوغا لتنقص، ولا يدل على تمايز عند الله، وللجنة أبواب ثمانية، كل باب لضرب من ضروب البر.

وهذا يفتح بابا واسعا في النظر والدعوة؛ إذ علينا أن نفيد من جميع المسلمين ذكورهم وإناثهم، محسنهم ومقصرهم، كما كان يفعل سلف هذه الأمة، ففي جيش سعد، كان أبو محجن الثقفي، وكان القصاص، والقراء، والفرسان... الخ، كل منهم يؤدي ما أقدره الله عليه، والله يتولى جميع عباده.

إنَّ ما يقال إنَّ بعض المنتسبين للدعوة يفعله من رفض من لديه شيء من التقصير والإخلال أمر يجب أن نراجع فيه أنفسنا، ليتوحد الصف الإسلامي بكافة شرائحه كل بإمكانه، هذا بفكره، وذاك ببدنه، وآخر بماله، ورابع برأيه، وخامس بدعائه....الخ، ولنتخلص من تصنيف الناس إلى بر يصلح لكل عمل، وفاجر لا يصلح مطلقا.

ويجب أن نتنبه: أنَّ الوسطية ليست شعارا يرفعه مدعوه، بل هي ممارسة عملية في واقع الحياة، قال تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣]، والمعنى في هذه الآية: "أنَّ الدين ليس بالتحلي ولا بالتمني، وليس كل

من ادعىٰ شيئا حصل له بمجرد دعواه، ولا كل من قال: "إنَّه هو المحق" سمع قوله بمجرد ذلك، حتىٰ يكون له من الله برهان... بل العبرة بطاعة الله، واتباع ما شرعه علىٰ ألسنة رسله الكرام"[1].

إنَّ الوسطية هي سمة الإسلام في عقائده، وشرائعه، وأنظمته، وأخلاقه، فهو وسط بين الغلو والتقصير: في عقائده بين التشبيه والتعطيل، والجبر والقدر مثلا، وفي التربية والسلوك بين الأمن والإياس، فيعبد الله بالحب والخوف والرجاء، وتلك عبادة المؤمنين.

ويظهر منهج الوسطية في التشريعات بشكل جلي في سيرته صلىٰ الله عليه وسلم في مراعاة أحوال الناس وظروفهم، واختلاف قدراتهم وطاقاتهم، بل ويأمر به أمته، وقد تحقق هذا المنهج في شعيرة الصلاة التي هي الركن الثاني من أركان الإسلام، عن أنس رضي الله عنه قال: «مَا صَلَّيْتُ وَرَاءَ إِمَامٍ قَطُّ أَخَفَّ صَلاَةً، وَلاَ أَتَمَّ مِنَ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَإِنْ كَانَ لَيَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَيُخَفِّفُ مَخَافَةَ أَنْ تُفْتَنَ أُمُّهُ»[2].

وكثيرا ما كرر النهي عن التشدد، ونبه علىٰ القصد في العبادة؛ ودليل ذلك قصة زينب أم المؤمنين رضي الله عنها؛ عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْمَسْجِدَ، وَحَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ سَارِيَتَيْنِ، فَقَالَ: «مَا هَذَا؟» قَالُوا: لِزَيْنَبَ تُصَلِّي، فَإِذَا كَسِلَتْ، أَوْ فَتَرَتْ أَمْسَكَتْ بِهِ، فَقَالَ: «حُلُّوهُ، لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا كَسِلَ، أَوْ فَتَرَ قَعَدَ»[3]، فصدق من سماه الرؤف الرحيم، قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[سورة التوبة الآية ١٨٢]، وذلك لأنَّ العنت والمشقة مضادة للفطرة الإنسانية، والتشديد علىٰ النفس لا يرضاه الله

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة (٢/ ٤١٧).

(٢) صحيح البخاري (١/ ١٤٣)، كِتَابُ الأَذَانِ، بَابُ مَنْ أَخَفَّ الصَّلاَةَ عِنْدَ بُكَاءِ الصَّبِيِّ، رقم: ٧٠٨. صحيح مسلم (١/ ٣٤٢)، كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ أَمْرِ الْأَئِمَّةِ بِتَخْفِيفِ الصَّلَاةِ فِي تَمَامٍ، رقم: ١٩٠ - (٤٦٩).

(٣) صحيح مسلم (١/ ٥٤١)، كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ أَمْرِ مَنْ نَعَسَ فِي صَلَاتِهِ، أَوِ اسْتَعْجَمَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ، أَوِ الذِّكْرُ بِأَنْ يَرْقُدَ، أَوْ يَقْعُدَ حَتَّىٰ يَذْهَبَ عَنْهُ ذَلِكَ برقم: ٧٨٤.

لعباده، فإنَّ الله لغنىٰ عن تعذيب أنفسنا في عبادته، والقصد والاعتدال والوسطية في سائر أنواع العبادات هو الأمر المحمود.

ولاريب أنَّ هذه التوجيهات النبوية الكريمة صريحة في رسم منهج الوسطية في العبادة، والحث علىٰ الاقتصاد والاعتدال فيها، والنهي عن التعمق والتشدد، والاقتصاد علىٰ ما يطاق من العبادة والابتعاد عن تكلف ما لا يطاق.

ومِمَّا سبق يمكن القول: إنَّ الوسطية في الإسلام مؤسسة تأسيسا محكما، ولا تتم صورتها إلا بمراعاة ما يلي:

١- الشمول الذي يجعل الإسلام مهيمنا علىٰ الحياة كلها بأنظمتها وأنشطتها المختلفة، وبأعمال الإنسان المتنوعة، فلا يشذ عن الدين أي عمل يعمله، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

٢- التوازن بين الأطراف المختلفة؛ بحيث لا يحصل حيف لطرف علىٰ طرف، ولا لجانب علىٰ جانب.

٣- تحقيق المقاصد الشرعية بحسب مرتبتها وأولويتها من ضروري، وحاجي، وتحسيني بحسب التمايز المتحقق، ولا تجوز التسوية بين هذه الدرجات إلا عند من لا فقه لديه، وحديثي العهد بالعلم.

٤- اتساع الصدور لاستيعاب المخالف فيما يسوغ فيه الخلاف، خاصة المجتهد، ومن يمكن التماس عذر له.

٥- وضوح الأصول الاعتقادية، لتكون منطلقا لغيرها من الأعمال.

المبحث الثالث:

مقام الوسطية بين النظرية والتطبيق

ويتكون من سبعة مطالب:

المطلب الأول: وسطية أهل السنة في الدعوة إلى دين الله تعالى:

إنَّ بعث الله -سبحانه وتعالى- النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- بالتيسير والتسهيل؛ لخير دليل على الوسطية في سيرته التعليمية والدعوية والمنهجية، جاء في حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنه -قال: قال -صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا، وَلَا مُتَعَنِّتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا»(١)، وعَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا بَعَثَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ أَمْرِهِ، قَالَ: «بَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا»(٢)؛ فالحديثان يمثلان التيسير والتوسط في حياته -صلى الله عليه وسلم -القولية، والعلمية، كما ينهيان عن التعنت والتنفير والتَّزمُت في التعليم والدعوة إلى الله.

وقال سبحانه في وصْف عباد الرحمن أيضاً منبّهاً على أهمية التوسط وعدم الإفراط والتفريط: ﴿وَالَّذِينَ إِذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً﴾ [الفرقان: ٢٥]، وقال -عزّ وجلّ- محذّراً من الغلوّ: ﴿يا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلاّ الْحَقَّ﴾ [النساء: ٤]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ يا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُم غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٥]؛ فالمنهج الذي تقوم عليه الدعوة الوسطية والعدل والاعتدال، ولا يرضى الظلم والعدوان والتشدد في الدين، سالمٌ من التطرفِ والغلوِّ والإرهابِ والبدعِ والضلالات.

---

(١) صحيح مسلم (٢/ ١١٠٤)، كتاب الطلاق، باب بيان أن تتخير امرأته لا يكون طلاقا إلا بالبينة، برقم ٢٩ - (١٤٧٨).

(٢) صحيح البخاري (١/ ٢٥)، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَوَّلُهُمْ بِالْمَوْعِظَةِ وَالعِلْمِ كَيْ لاَ يَنْفِرُوا، برقم ٦٩. صحيح مسلم (٣/ ١٣٥٨)، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابٌ فِي الْأَمْرِ بِالتَّيْسِيرِ، وَتَرْكِ التَّنْفِيرِ برقم ٦ - (١٧٣٢).

ومن المعلوم أنَّ الدعوة العملية أكثر تأثيراً من الدعوة النظرية؛ لأنها تطبيق واقتناع، وبيان للنتائج والأهداف، فأبناء البلاد المفتوحة كانوا يدخلون في الإسلام بعد أن رأوا في الوسطية الإسلامية سلوكاً عملياً في حياة الفاتحين، فلم يُكرهوا أحدا على الإسلام، ولم يسلبوا مالاً، ولم يهدموا بيعة أو كنيسة، فتركوا الناس لعقولهم وحريتهم وأمنوهم على أنفسهم وأعمالهم وعبادتهم، ولا يضار أحد منهم، فتربى الناس على وسطية الإسلام[1].

المطلب الثاني: وسطية أهل السنة في معاملة ولاة الأمر كصمام أمان للمجتمع:

كان منهج الوسطية في الأمور كلها سواء كانت الأمور اعتقادية أو منهجية أو سلوكية منهجا وسطيا، ويتمثل ذلك في منهج التعامل مع الحكام ودعوتهم إلى الله، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر؛ بقصد اتباع السنة، وترك البدعة، والبعد عن الشطط، وإيثار المصالح العامة على المصالح الفردية.

فيعتقدون السمع والطاعة لأئمة المسلمين، وكل من ولي أمر المسلمين؛ عن رضى أو عن غلبة واشتدت وطأته من بر أو فاجر؛ فلا يُخرج عليه جار أو عدل، ونغزو معه العدو ونحج معه البيت، ودفع الصدقات إليهم مجزية إذا طلبوها، ونصلي خلفهم الجمعة والعيدين.

عَنْ سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ، قَالَ: قَالَ لِي عُمَرُ: "يَا أَبَا أُمَيَّةَ، إِنِّي لَا أَدْرِي، لَعَلِّي لَا أَلْقَاكَ بَعْدَ عَامِي هَذَا، فَإِنْ أُمِّرَ عَلَيْكَ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ مُجَدَّعٌ فَاسْمَعْ لَهُ وَأَطِعْ، وَإِنْ ضَرَبَكَ فَاصْبِرْ، وَإِنْ حَرَمَكَ فَاصْبِرْ، وَإِنْ أَرَادَ أَمْرًا يُنْقِصُ دِينَكَ، فَقُلْ: سَمْعًا وَطَاعَةً، دَمِي دُونَ دِينِي، وَلَا تُفَارِقِ الْجَمَاعَةَ"[2].

---

(١) ينظر: النظام السياسي في الإسلام، د أحمد أحمد غلوش (ص: ٢٨-٢٩).

(٢) السنة لأبي بكر بن الخلال (١/ ١١١) بَابٌ فِي الصَّبْرِ وَالْوَفَاءِ برقم ٥٤، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخَلَّال البغدادي الحنبلي (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: د. عطية الزهراني، الناشر: دار الراية – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م. السنن الكبرى للبيهقي (٨/ ٢٧٥) جِمَاعُ أَبْوَابِ الرُّعَاةِ، بَابُ الصَّبْرِ عَلَى أَذًى يُصِيبُهُ مِنْ جِهَةِ إِمَامِهِ أَوْ إِنْكَارِ الْمُنْكَرِ مِنْ أُمُورِهِ بِقَلْبِهِ أَوْ تَرْكِ الْخُرُوجِ عَلَيْهِ برقم ١٦٦٢٨. أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي

المطلب الثالث: وسطية أهل السنة والجماعة في التكليف بالمسؤولية الفردية:

قد يستغرب البعض إقحام المسئولية في مظاهر الوسطية، وليته يذكر ما تنادي به بعض الطوائف من تقسيم الخلق إلى أصحاب الحقيقة وأصحاب الشريعة، ومن إسقاط الواجبات الشرعية عن بعض، ومن تحمل بعض آخر المسئولية عن آخرين، ومن زعم بعضهم العصمة لمتبوعيهم، ودعوة بعض المبتدعة لتحميل المسؤولية للحكام كاملة بلا تقصير من الرعية.

أصَّلنا في المبحث الأول أنَّ الإسلام حمل الإنسان مسئولية عمله، ولم يحمله مسئولية عمل غيره، مهما بلغت القرابة، ما لم يكن طرفا أو سببا، قال تعالى: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٨ - ٣٩] ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء: ١٣ - ١٥]

وهذه القيمة لها أثرها في حياة الإنسان وسلوكه، وتحمله المسئولية، وتحقيق العدالة والمساواة بين الخلق، وهي أصل ومبدأ من مبادئ الإسلام الراسخة، تقصر دونه كل المبادئ والقيم الأخرى، وقد رتب على هذا أنَّ الجزاء مرتب على العمل، فلا أحد يظلم بحمل وزر غيره ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [فاطر: ١٨] إلا إذا سلكت سبيل المضلين ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣]؛ والمعنى: "أن كل نفس يوم القيامة لا تحمل إلا وزرها الذي اقترفته، لا تؤاخذ نفس بذنب نفس، كما تأخذ جبابرة الدنيا الولي بالولي، والجار بالجار.... وقوله: ليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم؛ وارد في الضالين المضلين؛ فإنَّهم يحملون أثقال إضلال الناس مع أثقال ضلالهم، وذلك كله أوزارهم ما فيها شيء من وزر غيرهم؛ ألا

الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

ترىٰ كيف كذبهم الله تعالىٰ في قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم؛ بقوله وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء[1].

ولا أحد يعطىٰ ثمرة عمل غيره ليحرم منها العامل، ولا يستحق أحد المكافأة إلا بعمل صالح، لا ينفعه في ذلك نسب أو حسب أو جاه، وهذه مبادئ لو طبقت في واقعنا العملي الحيوي لكان للمسلمين شأن آخر، وإنما أُتي المسلمون من الغفلة عنها.

ومما يتعلق بالمسئوليات والواجبات والتوزيع العادل للمسئولية الاجتماعية علىٰ كل ذي رعية في المجتمع؛ قال -صلىٰ الله عليه وسلم-: «أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَىٰ النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَىٰ بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَىٰ مَالِ سَيِّدِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[2].

وقد دأب كثير من الناس علىٰ رمي غيرهم بالتقصير ونسيان أنفسهم تزكية لها، وكأنهم غير مسئولين، ولا يتنبهون إلىٰ إنَّ كل فرد في المجتمع يحمل جزءا من المسئولية العامة فيه، مهما صغر هذا الجزء؛ إذ كل مسلم علىٰ ثغرة من ثُغُر الإسلام، فلا يؤتين الإسلام من قبله؛ ولو أصلح كل واحد نفسه، وقام بالواجب عليه نحو غيره من نصح وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، وسائر ما أمر به الشارع، وحده من الحقوق، لم يكن ثمة خلل، لكن أكثر القوم يتخلون عن مسئوليتهم، ويستبدلون بها كلاما في النقد، يوزع علىٰ حملة المسئولية، من ولاة

---

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣/ ٨٣) أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفىٰ: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

(٢) صحيح البخاري (٩/ ٦٢)، كِتَابُ الأَحْكَامِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَىٰ وَ {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ} [النساء: ٥٩] برقم ٧١٣٨، صحيح مسلم (٣/ ١٤٥٩)، كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ فَضِيلَةِ الْإِمَامِ الْعَادِلِ، وَعُقُوبَةِ الْجَائِرِ، وَالْحَثِّ عَلَىٰ الرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ، وَالنَّهْيِ عَنْ إِدْخَالِ الْمَشَقَّةِ عَلَيْهِمْ برقم ٢٠ - (١٨٢٩).

وعلماء وأصحاب شأن، وكأنهم المعنيون بما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَنْ قَالَ هَلَكَ الْمُسْلِمُونَ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ»[1].

إنَّ الذين لا يعملون ولا يشعرون بوطأة العمل، وثقل المسئولية هم أجرأ الناس على النقد غير البصير، وهم أجرأ الخلق على إدانة غيرهم؛ لأن المشغول بالعمل الجاد معني بإتقان عمله، وإصلاح نفسه، ودرء عيوبها، لا يشمت بمقصر، ولا يفتات على محسن، ولا يبهت بريئا؛ لأنَّ له من دينه وشغله صارفا عن الاشتغال بغيره وذمه، ينظر إلى المحسنين فيدعو لهم بالتوفيق وأن يكون مثلهم، وينظر إلى المقصرين، فيدعو لهم بإقالة عثراتهم، وأن يعافيهم مما ابتلاهم به، في حين ينظر البطَّالون إلى المقصرين فيشمتون بهم، ويشيعون عنهم قالة السوء، وقد أتم الإسلام هذه القيمة بأحكام تتعلق بالغيبة والبهتان، والحسد والضغينة والتحقير، فعالج هذه علاجا خلقيا، ليس هذا مقام بسطه.

المطلب الرابع: وسطية أهل السنة في التكليف بالمسؤولية الاجتماعية والإنسانية:

لا يمكن للإنسان مسلما كان أو غيره أن يعيش وحده منعزلا عن المجتمع، مفردا لا يختلط بغيره؛ لأنَّ الإنسان مدني بالطبع، ويتعين على المسلم أن يكون إيجابيا في هذه الحياة، وعنصرا مؤثرا؛

---

(١) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٢٤)، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ النَّهْيِ عَنْ قَوْلِ هَلَكَ النَّاسُ برقم ١٣٩ - (٢٦٢٣). وقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: لَا أَدْرِي، أَهْلَكَهُمْ بِالنَّصْبِ، أَوْ أَهْلَكُهُمْ بِالرَّفْعِ؛ قال الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي: (فهو أهلكهم) روى أهلكهم على وجهين مشهورين رفع الكاف وفتحها، والرفع أشهر؛ قال الحميدي في الجمع بين الصحيحين: الرفع أشهر؛ ومعناه: أشدهم هلاكا، وأما رواية الفتح؛ فمعناها: هو جعلهم هالكين لا أنهم هلكوا في الحقيقة، واتفق العلماء على أن هذا الذم إنما هو فيمن قاله على سبيل الإزراء على الناس، واحتقارهم، وتفضيل نفسه عليهم، وتقبيح أحوالهم، قالوا: فأما من قال ذلك تحزنا لما يرى في نفسه وفي الناس من النقص في أمر الدين؛ فلا بأس عليه، وقال الخطابي: معناه لا يزال الرجل يعيب الناس ويذكر مساويهم، ويقول: فسد الناس وهلكوا ونحو ذلك؛ فإذا فعل ذلك فهو أهلكهم؛ أي: أسوأ حالا منهم بما يلحقه من الإثم في عيبهم، والوقيعة فيهم، وربما أداه ذلك إلى العجب بنفسه، ورؤيته أنه خير منهم. صحيح مسلم (٤/ ٢٠٢٤).

فعَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: «الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الَّذِي لَا يُخَالِطُهُمْ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ» (١).

وقد أساء بعض من غلا مفهوم العزلة، واستحاب لسلبية لم تأمر بها شرائع الإسلام، بل فيها تحريف وسوء فهم لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "عليك بخاصة نفسك" (٢)؛ كما أنَّ بعض الناس حاول أن يؤسس لعزلة نفسية، من شأنها أن تشعر المعتزل بتميز ما عن سائر المجتمع، وهي ذات آثار على النفس، وعلى مفاهيم الشخص غير مستساغة ولا مقبولة؛ لأنها تغرس لدى المعتزل استعلاء لا يليق بخلق المؤمن؛ قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣]

ثم إنَّ الإسلام نظم العلاقة بين أطراف المجتمع الحاكم والمحكوم، فجعل للحاكم حق الطاعة ما لم يأمر بمعصية، وحق النصح، وحرم غشه، وجعل للمحكوم على الحاكم حق الرحمة والرأفة، والنصح بأن يبحث، ويتطلب له ما فيه خيره ومصلحته في الدنيا والآخرة، فإذا قام كل طرف بما عليه استقامت الحياة وآتت ثمارها وأكلها بإذن ربها.

وقد أتي المسلمون من خلل في هذا الجانب، والإعراض عن ضوابطه الشرعية بمصائب كثيرة ابتداء من فتنة الدار إلى عصرنا الحاضر، فتجد من لا يرى طاعة الحاكم بالمعروف من طاعة الله، وتجد

---

(١) إسناده صحيح، مسند الإمام أحمد بن حنبل (٩/ ٦٤)، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، مُسْنَدُ الْمُكْثِرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ، مُسْنَدُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا برقم ٥٠٢٢.

(٢) حسن صحيح، مسند الإمام أحمد بن حنبل (١١/ ٥٦٧)، قال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ ذَكَرَ الْفِتْنَةَ، فَقَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ النَّاسَ قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ، وَخَفَّتْ أَمَانَاتُهُمْ، وَكَانُوا هَكَذَا» وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، قَالَ: فَقُمْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: كَيْفَ أَفْعَلُ عِنْدَ ذَلِكَ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ؟ قَالَ: «الْزَمْ بَيْتَكَ، وَامْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَخُذْ بِمَا تَعْرِفُ، وَدَعْ مَا تُنْكِرُ، وَعَلَيْكَ بِأَمْرِ خَاصَّةِ نَفْسِكَ، وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَامَّةِ»، مُسْنَدُ الْمُكْثِرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ، مُسْنَدُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا برقم ٦٩٨٧.

من يلتمس عيوبا وأوجه القدح، ويتأول أشياء وأعمالا على ما تزينه له نفسه باسم الإسلام والإصلاح على نحو مما تعمله الأحزاب السياسية.

ومن العلائق الاجتماعية ما رتبه الإسلام بين المسلمين، وما أوجبه من حقوق لبعضهم على بعض، وهي حقوق متكافئة، للمسلم مثل ما عليه، وهي حقوق - لو أديت - تكفل استقرار المجتمع المسلم وتوازنه، وتحفظ عليه الضروريات الخمس (الدين، النفس، النسل، المال، العقل) وتبني مجتمعا يسوده الحب والألفة، يعرف كل فرد فيه مكانه وحدود مسئوليته، وواجبه، بحيث لا يتعدى ذلك أو يقصر عنه، وقد حدد الإسلام مسئولية الفرد في المجتمع بمثال حي، جاء في السنة النبوية: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا»[1] فليس في المجتمع المسلم عنصر مهمل يخلى من المسئولية، فكل موكل بألا يؤتى الإسلام من قِبَلِهِ، ولو وعى المسلمون هذه الحقيقة لتخلصنا من كثير مما نعاني منه في حياتنا الاجتماعية، وهذه الصورة تحفظ المجتمع المسلم.

ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل يبني الإسلام علاقة متوازنة بين المسلمين وغيرهم من حيث الحقوق والواجبات؛ إذ البشرية كلها فريقان ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢]، والمؤمنون بعضهم أولياء بعض، غير أن هذه الولاية لا يلزم منها إعطاؤهم حق الظلم لغيرهم، والكفار بعضهم أولياء بعض، ولكن الكفار لا يجوز ظلمهم، أو سلب حقوقهم، بل لهم حقوق شرعت، وطرائق في معاملتهم سنت، ومظالم لو وقعت تعين رفعها قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٨] بل نهينا عن الاعتداء مع منع الحقوق، قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾ [المائدة: ٢]

---

(١) صحيح البخاري (٣/ ١٣٩)، كتاب الشركة، بَابٌ: هَلْ يُقْرَعُ فِي القِسْمَةِ وَالِاسْتِهَامِ فِيهِ برقم ٢٤٩٣.

إنَّ كثيرا من الخطاب الإسلامي الشائع على ألسنة بعض الدعاة والشباب يفقد توازنه مع غير المسلمين، وكأنه يوجب نمطا واحدا من المعاملة والخطاب، وما من شك أنهم أصناف وفئات، وللخطاب مقتضيات ومقامات، وللمتكلم أحوال وصفات، كلها توجب تعدد الخطاب وأن يكون مناسبا.

لم يكلف محمد صلى الله عليه وسلم إرغام الناس على الدخول في الإسلام؛ ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]، وقد نظم الإسلام العلاقة بين المسلمين وأهل الذمة، والمعاهدين والمحاربين من أهل الكتاب وغيرهم تنظيما لا مزيد عليه، غير أنه يحلو لكثير من المشتغلين بالدعوة أن يبرزوا وجها واحدا من هذه المعاملة ويدعوا الباقي، مما يجعل المسلمين هدفا لأعدائهم، وهم ليسوا مؤهلين لمعاداة أهل الأرض لأوضاع لا تخفى على أحد، وهذا كله من غيبة الفقه، ونزوع البعض إلى نمط واحد من الخطاب، وكأنَّه المتعين، على الرغم من اختلاف المقامات والمقتضيات.

المطلب الخامس: وسطية أهل السنة في التواصل مع الثقافات:

من مظاهر الوسطية التواصل مع الثقافات بعقلانية وحكمة، فالوسطية حاجة إنسانية قبل أن تكون نظرية دينية؛ لأنَّها تؤدي إلى الانفتاح والتواصل مع الثقافات الإنسانية، فالاعتدال والوسطية يمنعان من الانعزال والانكفاء والاستغناء عن الآخر، ويؤديان إلى التفاعل معه، والانفتاح على ثقافاته والتواصل الإنساني.

ولا شك أنَّ أساس هذا الانتفاع منهج الله من كتابه وسنة نبيه؛ حيث جاء هذا المنهج الرباني العالمي يأمرنا بعمارة الأرض، وبناء الحياة وتطويرها، والمتأمِل للسيرة النبوية وتاريخ السلف الصالح من هذه الأمة يجد أنَّ الأمة الإسلامية تعاملت مع غيرها من الأمم، من خلال الفتوحات الإسلامية، وعندما دخل المسلمون هذه البلاد، استطاعوا التعامل معها على أساس ما جاء به الكتاب والسنة، وانتفعوا بأخذ الأمور الدنيوية المفيدة، وترك ما لا فائدة منه.

وخير مثال على ذلك على احترام ثقافة الغير بل وجواز التعامل معها: قصة أبي ثعلبة الخشني وجابر بن عبد الله رضي الله عنهما؛ حيث أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين باستعمال آنية أهل الكتاب وغيرهم من المشركين التي من صنيعهم، عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنَّا

بِأَرْضِ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، أَفَنَأْكُلُ فِي آنِيَتِهِمْ؟ وَبِأَرْضِ صَيْدٍ، أَصِيدُ بِقَوْسِي، وَبِكَلْبِي الَّذِي لَيْسَ بِمُعَلَّمٍ وَبِكَلْبِي المُعَلَّمِ، فَمَا يَصْلُحُ لِي؟ قَالَ: «أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَإِنْ وَجَدْتُمْ غَيْرَهَا فَلاَ تَأْكُلُوا فِيهَا، وَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَاغْسِلُوهَا وَكُلُوا فِيهَا، وَمَا صِدْتَ بِقَوْسِكَ فَذَكَرْتَ اسْمَ اللَّهِ فَكُلْ، وَمَا صِدْتَ بِكَلْبِكَ المُعَلَّمِ، فَذَكَرْتَ اسْمَ اللَّهِ فَكُلْ، وَمَا صِدْتَ بِكَلْبِكَ غَيْرِ مُعَلَّمٍ فَأَدْرَكْتَ ذَكَاتَهُ فَكُلْ».[1]

وعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: «كُنَّا نَغْزُو مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَنُصِيبُ مِنْ آنِيَةِ الْمُشْرِكِينَ، وَأَسْقِيَتِهِمْ فَنَسْتَمْتِعُ بِهَا، فَلَا يَعِيبُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ»[2].

كما تنبع حاجة الإنسانية للوسطية من كونها تبعث في الإنسان الاعتدال والتوازن في التعامل مع الآخر، وقد وجهنا الرسول صلى الله عليه وسلم لهذا الفهم حرصا منه على تعايش الإنسان مع الآخر بأمن وسلام وذلك ما سنلاحظه في قصة الأنصاري الذي صفع يهوديا لقوله والذي اصطفى موسى على البشر؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، قَالَ: بَيْنَمَا يَهُودِيٌّ يَعْرِضُ سِلْعَتَهُ، أُعْطِيَ بِهَا شَيْئًا كَرِهَهُ، فَقَالَ: لاَ وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى البَشَرِ، فَسَمِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَامَ فَلَطَمَ وَجْهَهُ، وَقَالَ: تَقُولُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى البَشَرِ، وَالنَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَيْنَ أَظْهُرِنَا؟ فَذَهَبَ إِلَيْهِ فَقَالَ: أَبَا القَاسِمِ، إِنَّ لِي ذِمَّةً وَعَهْدًا، فَمَا بَالُ فُلاَنٍ لَطَمَ وَجْهِي، فَقَالَ: «لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ» فَذَكَرَهُ، فَغَضِبَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَتَّى رُئِيَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: " لاَ تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ

---

(١) صحيح البخاري (٧/ ٨٦)، كِتَابُ الذَّبَائِحِ وَالصَّيْدِ، بَابُ صَيْدِ القَوْسِ، برقم ٥٤٧٨، صحيح مسلم (٣/ ١٥٣٢)، كِتَابُ الصَّيْدِ وَالذَّبَائِحِ وَمَا يُؤْكَلُ مِنَ الْحَيَوَانِ، بَابُ الصَّيْدِ بِالْكِلَابِ الْمُعَلَّمَةِ، رقم ٨ - (١٩٣٠).

(٢) صحيح. سنن أبي داود (٣/ ٣٦٣)، كِتَاب الْأَطْعِمَةِ، بَابُ الْأَكْلِ فِي آنِيَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ، رقم: ٣٨٣٨، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت بدون طبعة ولا تاريخ.

يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ، فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِالعَرْشِ، فَلاَ أَدْرِي أَحُوسِبَ بِصَعْقَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ، أَمْ بُعِثَ قَبْلِي"[1].

فوسطية الإسلام تركز على التعايش السلمي بين أهل الأديان، وصحيفة المدينة المنورة التي تمثل دستورا بين المسلمين واليهود أكبر دليل على ذلك[2].

المطلب السادس: الوسطية في الحقوق والواجبات البدنية والأسرية:

الإسلام دين الوسط والعدل، ولم يشرع الله -تبارك وتعالى- ما يكون فيه القيام بأمر سببا في التفريط والتقصير في حقوق وواجبات أخرى، فشرع الله تعالى الحقوق والواجبات الأسرية والبدنية، وهذا ما دلت سيرته صلى الله عليه وسلم في توجيهاته بتحقيق التوازن والعدل في الحقوق الشرعية، والواجبات الأسرية، وخاصة ما يتعلق منها بالنوافل، والناظر لقصة سلمان الفارسي مع أبي الدرداء -رضي الله عنهما- يعلم ذلك جليا؛ عَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: آخَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ سَلْمَانَ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً، فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا، فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ؟ قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ، قَالَ: مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ، قَالَ: فَأَكَلَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ، قَالَ: نَمْ، فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ: نَمْ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ: سَلْمَانُ قُمِ الآنَ، فَصَلَّيَا فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَدَقَ سَلْمَانُ»[3].

---

(١) صحيح البخاري (٤/ ١٥٩)، كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ} [الصافات: ١٣٩] رقم: ٣٤١٤.

(٢) لمعرفة بنود هذه الوثيقة ينظر: خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم (٢/ ٤٩٨-٥٠٠)، الشيخ محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة، ١٤٢٥هـ.

(٣) صحيح البخاري (٣/ ٣٨)، كِتَابُ الصَّوْمِ، بَابُ مَنْ أَقْسَمَ عَلَى أَخِيهِ لِيُفْطِرَ فِي التَّطَوُّعِ، وَلَمْ يَرَ عَلَيْهِ قَضَاءً إِذَا كَانَ أَوْفَقَ لَهُ برقم ١٩٦٨.

فهذا هو المنهج الوسط الذي يحقق العدل في القيام بالحقوق الشرعية، والواجبات الأسرية، والنفسية، فلا تفريط ولا إفراط، بل منهج نبوي، وسنة محمدية.

المطلب السابع: الوسطية في الجمع بين خيري الدنيا والآخرة:

من خصائص الشريعة التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنها تجمع بين خيري الدنيا والآخرة؛ قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة القصص: ٧٧].

ونجد في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم الجوانب النيرة قولا وعملا، بما يدل على أنَّه كان في النهار فارسا وفي الليل قائما، يؤدي الواجبات المتعلقة بأمور الدنيا، ويتمتع بلذاتها وحلاوتها في غير حب مفرط لها ولا ولوع بها، ويجتهد في تحسين آخرته من حسن إلى أحسن بدون التبتل والرهبانية داعيا الله -سبحانه وتعالى- مبتهلا بهذا الدعاء: «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ»(١).

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: " حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا: النِّسَاءُ، وَالطِّيبُ، وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ "(٢)، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ»(٣).

فثبت من هذه الآثار النبوية أنَّ شخصية المصطفى صلى الله عليه وسلم كانت جامعة بين الفردية والجماعية، بين الأولى والأخرى، بين التفرغ للعبادة والاستمتاع بطيبات وجماليات الحياة التي

---

(١) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٨٧)، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ التَّعَوُّذِ مِنْ شَرِّ مَا عُمِلَ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ يُعْمَلْ، رقم: ٧١ - (٢٧٢٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) إسناده حسن، مسند أحمد ط الرسالة (١٩/ ٣٠٧)، مُسْنَدُ الْمُكْثِرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ، مُسْنَدُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ، رقم: ١٢٢٩٤.

(٣) صحيح مسلم (٢/ ١٠٩٠)، كِتَابُ الرَّضَاعِ، بَابُ خَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، رقم: ٦٤ - (١٤٦٧).

خلقها الله تعالى وسخرها للإنسان؛ ولأنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان النموذج الأعظم للإنسان الكامل في صفاته وشمائله وأفعاله.

ولم تخل حياته من ملح وطرائف تنهض بمهام الترويح عن النفس، وتجديد ملكات وطاقات القلوب، والإعانة على جد الحياة وصعابها مع التزام الحق والصدق والعدل أي الوسط والوسطية المتميزة عن الغلو إفراطًا أو تفريطا.

إننا نطالع في السيرة النبوية أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمزح ولكنه لا يقول إلا حقا، حتى قال له صحابته رضي الله عنهم؛ كما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: "إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا"، قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: فَإِنَّكَ تُدَاعِبُنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: "إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا" [1].

وهكذا نرى من خلال سيرته العطرة وسنته الرفيعة أنَّه لم يركن إلى الدنيا ركونا ألهاه عن الآخرة، ولم يمل إلى الآخرة ميلاً أنساه أداء ما كان عليه من حقوق الدنيا وأهلها، ومع ذلك كان همه الأهم وقصده الأجل الآخرة، قال عز وجل: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ [سورة الضحى الآية ٤].

---

(١) إسناده قوي، مسند أحمد ط الرسالة (١٤/ ١٨٥)، مُسْنَدُ الْمُكْثِرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ، مُسْنَدُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رقم: ٨٤٨١.

الخاتمة:

وتحتوي أهم النتائج والتوصيات

توصل الباحث إلى أنَّ لمقام الوسطية صوراً ومعالم ومظاهر متنوعة وكثيرة ومن أهم ركائز هذه الوسطية أنها:

١- وسطية تدعو إلى الالتزام بالمبادئ لا تفريط ولا إفراط.

٢- وسطية تدعو إلى نبذ التطرف بكل أشكاله والتمسك بالقيم الأخلاقية والجمالية.

٣- وسطية تدعو إلى الوحدة والائتلاف وتكوين أمة وسط.

٤- وسطية تقوم على توحيد الله -سبحانه وتعالى- في أسمائه وصفاته.

٥- وسطية تقوم على المنهج الإلهي، والجمع بين المادة والروح، والقضاء والقدر، والدنيا والآخرة.

٦- وسطية تدعو إلى التيسير في أمور الدين، وإلى التسامح والرفق، وتحارب التطرف والتشدد بجميع صوره.

٧- وسطية تنبه الناس أنها ليست تحارب التطرف الديني فحسب، بل تحارب أيضا التطرف في الأفكار والأمور الأخرى.

٨- وسطية تحارب الإرهاب بكل صوره وأشكاله والهيمنة وسياسة القوة، وتؤكد الوسطية بأنَّ أول ما يقدِّمه الإسلام للبشرية هو الأمن والسلام.

٩- وسطية تدعو إلى إصلاح المجتمع والتكافل والتضامن الإجتماعي والعدالة الاجتماعية واختيار طريق يتفق وواقعية الدول الإسلامية.

١٠- وسطية تدعو إلى الوحدة ونبذ الخلافات وإجراء حوار الحضارات وتقوية التبادل، وتبين أنَّ النزاعات الداخلية قد أضعفت كثيراً قوة الأمة الإسلامية وعرقلت تطورها وتقدمها.

١١- وسطية تدعو إلى إجراء الحوارات بين مختلف الحضارات لتقريب التفاهم والتعارف.

١٢- وسطية تسعى إلى إيجاد جو مناسب لحوار الحضارات انطلاقا من مبدأ "الناس سواسية" وتحقيق الأمن والاستقرار بين شعوب ودول متعددة الأديان والتبادل الودي بينها .

المصادر والمراجع مرتبة أبجديا :

١- الإصابة في تمييز الصحابة لحافظ ابن حجر العسقلاني. طبع دار الفكر، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، بيروت - لبنان.

٢- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٣- السنن، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت بدون طبعة ولا تاريخ.

٤- السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٥- السنة، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخَلَّال البغدادي الحنبلي (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: د. عطية الزهراني، الناشر: دار الراية – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

٦- السنن، المؤلف: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.

٧- الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، "تحقيق أحمد بن عبد الغفور عطار، ط. الثالثة، ١٤٠٢ هـ.

٨- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، "نشر: دار الجيل- بيروت.

٩- الكلم الطيب (فتاوىٰ عصرية)، د. علي جمعة، نشر دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م الطبعة الثالثة.

١٠- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء الكفَوي (ت: ١٠٩٤ هـ) ، تحقيق د. عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٢م.

١١- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفىٰ: ٢٦١هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.تاريخ بغداد للخطيب البغدادي. تصوير دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.

١٢- النظام السياسي في الإسلام د أحمد أحمد غلوش، مؤسسة الرسالة -القاهرة، ط٢، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

١٣- المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، نشر: مكتبة لبنان -بيروت.

١٤- الوسطية في الإسلام، الشيخ عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، نشر مؤسسة الريان - بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

١٥- تفسير ابن كثير، تفسير القرآن العظيم أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٦- تفسير البغوي، معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء، "تحقيق خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار، ط. دار المعرفة- بيروت.

١٧- تفسير الرازي الكبير، ط. الثالثة، نشر: دار إحاء التراث العربي- بيروت.

١٨- تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، "تحقيق وتعليق محمد محمود شاكر، دار المعارف بمصر.

١٩- تفسير الشوكاني، فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، ط. الثانية ١٣٨٣، الحلبي.

٢٠- التفسير المنير، د. وهبة الزحيلي، المجلد الأول، دار الفكر المعاصر بيروت، دار الفكر دمشق، الطبعة الأولى ١٩٩١م.

٢١- تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٢٢- حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد المسمى "تحفة المريد على جوهرة التوحيد"، تحقيق: د. علي جمعة، نشر دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م الطبعة السادسة.

٢٣- خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم، الشيخ محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة، ١٤٢٥هـ.

٢٤- شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار الهمذاني. مطبعة الاستقلال الكبرى، ط١، ١٣٨٤هـ القاهرة.

٢٥- شرح السنة للبغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٢٦- شرح النووي على مسلم، المسمى المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢.

٢٧- فتح الباري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي.

٢٨- مرصد الأزهر.

٢٩- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، "شرح وتحقيق د. عبد الجليل عبده شلبي، ط. الأولى ١٤٠٨ هـ نشر: عالم الكتب – بيروت.

٣٠- معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، نشر الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة ١٩٩٦م.

٣١- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، "بتحقيق عبد السلام محمد هارون، نشر: دار الكتب العلمية – إيران.

٣٢- معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، د. محمد عمارة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٧م.

٣٣- مقالات الإسلاميين أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، عنى بتصحيحه: هلموت ريتر، الناشر: دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا)، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.

٣٤- ميزان الاعتدال للذهبي. طبع دار المعرفة، ط١، ١٣٨٢هـ، بيروت – لبنان.

٣٥- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، "نشر: دار صادر – بيروت.

٣٦- وسطية أهل السمة والجماعة في باب القدر لعبد الله بن سليمان الغفيلي، مجلة البحوث الإسلامية، العدد ٧٦. ١٤٢٦هـ.

٣٧- مختصر تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، ١٩٨١م.

٣٨- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

٣٩- منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين أحمد بن علي الزاملي عسيري، إشراف: عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة - كلية أصول الدين - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤٣١هـ.